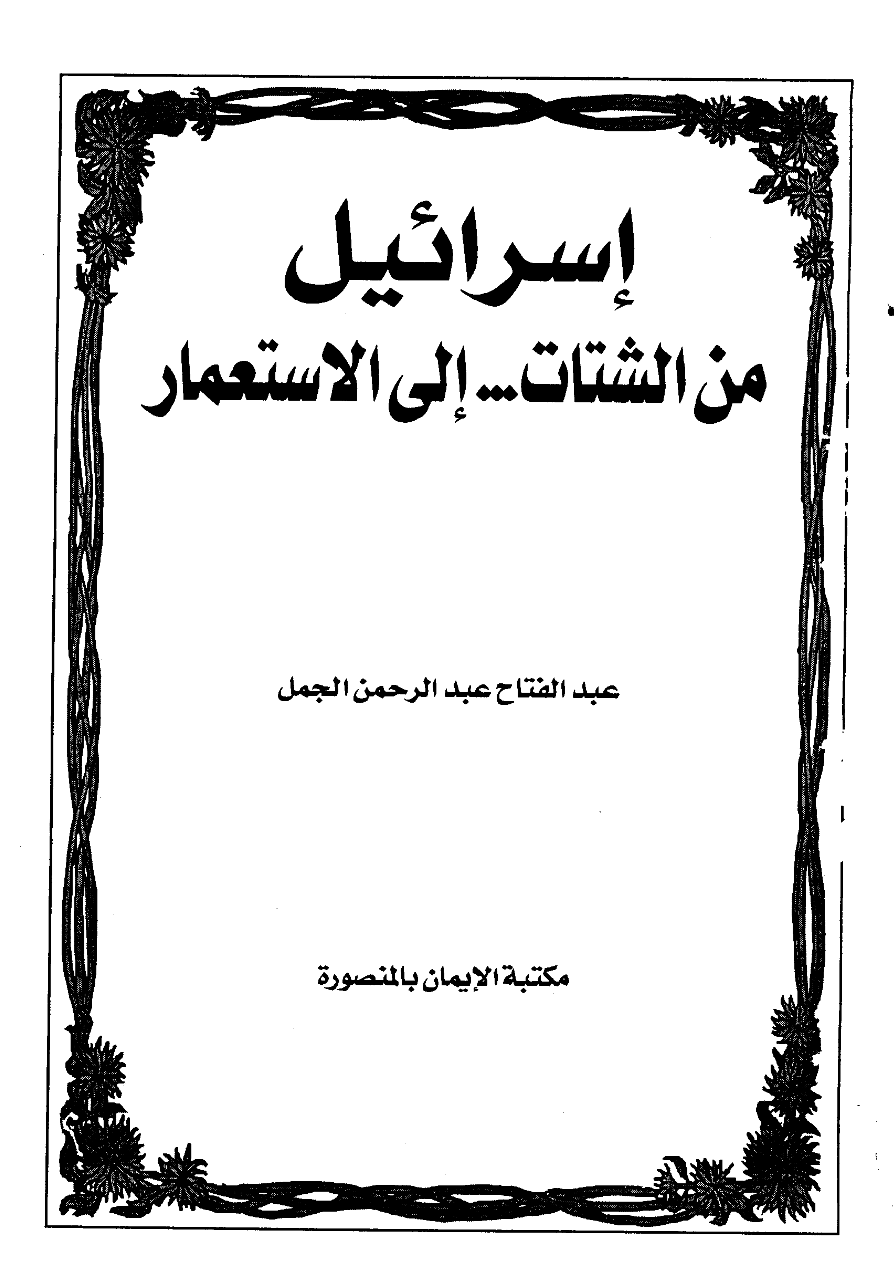
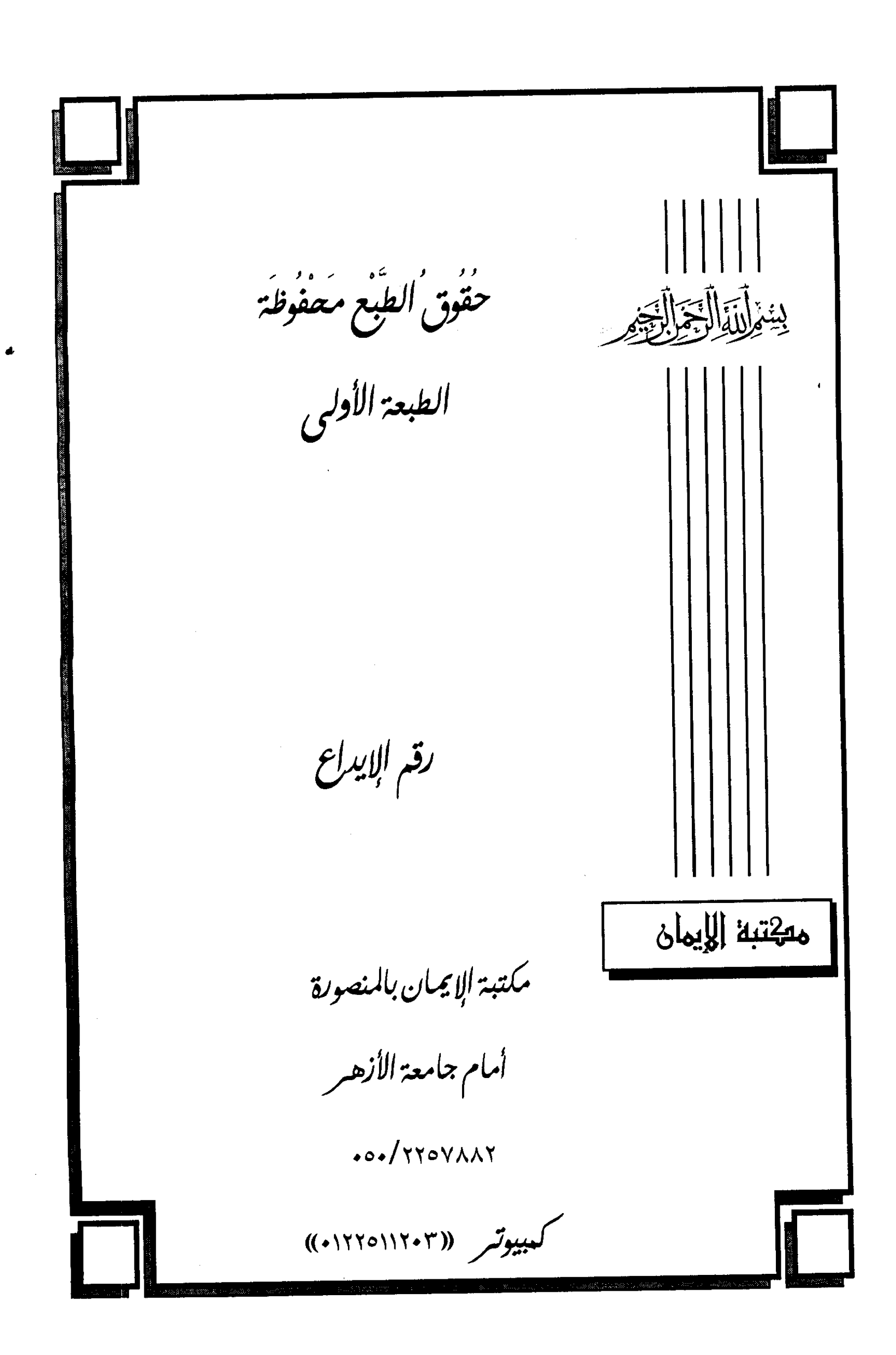


إسرائيل
من الشتات... إلى الاستعمار

عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل

مكتبة الإيمان بالمنصورة



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

رقم الإيداع

مكتبة الإيمان

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

كمبيوتر ((٠١٢٢٥١١٢٠٣))

ذاكرة تصلح للمستقبل

أدركت مبكرًا - وأنا غارق في خضم بحور الأدب- مدى المصائب التي يمكن أن تلحق بالبشرية من جراء الفكر الصهيوني العنصري.

حفزني ذلك الأمر الجلل في نهاية الستينات من القرن المنصرم إلى نشر عدة مقالات أخذت سمة الدراسات العلمية البحتة على صفحات مجلتي (الثقافة العربية) و(الشورى) الليبيتين.

تلاحظ لي خلال بحثي عن جذور الفكر الصهيوني، أنني عندما أصل إلى باب بعينه، سوف تنتهي مشاكلي مع هذا النوع من الكتابة، ولكن سرعان ما أكتشف أن هناك بابًا آخر، وعليَّ تقع مسؤولية العثور على مفاتيحه.

ومن باب إلى باب، كلما يتقد ذهني بأنوار المعارف، أجد بابًا آخر يفضي بي إلى أبواب متعددة، قرابة خمسة وعشرين عامًا أنفقتها في البحث والتنقيب والكتابة.

هنا يجمل بي القول: لقد استفدت من تاريخ الأمم والحضارات، على اعتبار أنه الواعية الذي يحتفظ لكافة الأمم بطموحاتها وتسفلها، وعلى جبهته الممتدة إلى ما وراء الأفق، نقشت سطور من بكائية طويلة وضحكات قصار.

وهو - أي التاريخ- السبيل إلى معرفة أخبار من مضى من الأمم، ولا شك أن الرؤساء والقادة يحتاجون لمطالعته، بحيث لا يصدر منهم أمر إلا عن روية وإمعان، إذ إن في أسفاره دماء وقتلى وشهداء:

يفني البرايا ويأتي الوقت مختلفًا
ليخرج الدهر تاريخا من الرمم

وفي «مفاتيح العلوم»: التاريخ في اللغة تعريف لوقت، وعلم التاريخ: معرفة أحوال الأمم، وفائدته العبرة والاطلاع على تقلبات الزمن.

وقيل: إن أقدم كتاب رتب الحوادث ونسق الوقائع، هو كتاب الخليقة والأسفار الخمسة التي كتبها النبي موسى (عليه السلام)، وهي تحوي تاريخ مدة ٢٥٥٣ سنة من خلق العالم، إلى وصول الإسرائيليين إلى حدود أرض كنعان سنة ١٤٥١ ق م، فيكون موسى (عليه السلام) قد كتب حوادث ٢٤٣٣ سنة قبل ولادته، وتعد أشعار هوميروس أقدم مصادر التاريخ بعد الخليقة من حيث الثراء وحشد الحياة في شكل درامي.

ثم أتى هيرودتس الملقب بأبي التاريخ في القرن الخامس ق م. شارحا وقائع الدول القديمة، ومن بعده ظهر نيياس المؤرخ الطبيب الفارسي في القرن الرابع ق م ، وكتب تاريخ الفرس القديم.

ومن أشهر مؤرخي المسلمين :ابن الأثير الجزري وأبو الفداء وابن خلدون وعبد المطلب البغدادي والمسعودي وابن الوردي وابن يشكوال والمقري القزماني وابن الجوزي وابن ماجة وابن طاهر وابن قتيبة، وغيرهم مما يطول ذكره، وهم جميعا ثقات الإسلام.

ما يهمني ذكره أنه قد استوقفني حديث قوم أتوا من البدو، واهتموا بملء أمخاخ الشعوب بحكايات حول تفضيل الله لهم على كافة الأجناس، ولمست مدى اهتمامهم بتعميق مشاعر التخلف والعنصرية، وإننا كعرب ومسلمين لا يجوز لنا العيش إلى جوارهم، وإنما إذا رغبنا في الحياة فلنكن خدما لهم أو نذهب إلى غرفة الإنعاش حتى نلفظ الأنفاس الأخيرة.

وبرعشة من بين أصابع الحياة وهبتني القدرة على الوقوف باعتداد في مواجهة ذلك الإرهاب الصهيوني بعد أن تبلور في شكل أيديولوجية ثابتة لدولة مغتصبة تعمل وتفكر عكس التيار الرئيسي للديانة اليهودية.

وما دامت الصهيونية تحاول أن تقيد الديانة اليهودية والشعب اليهودي بقيود جنون القوة المادية، فلا بد أن نستوعب ذلك الدرس جيدًا، وهو ما سعيت إليه وأنا أرفع كتابي هذا بين أيديكم، لعلي أكون رنة جرس في ناقوس يوقظ الجميع من غفلتهم.

والله الموفق وعليه توكلت.

ع . ع . ا

النيتشيزم

ونظرية التفوق العرقي الصهيوني

أعتقد أن الدهشة سوف تعتري الذين لم يكن لديهم الوقت لمعرفة نشأة العنصرية، ولعل دوائر الدهشة سوف تتسع حينما يدركون أنه منذ حرفت التوراة ومسلسل الأيديولوجية العنصرية لم يتوقف حتى الآن.

ففي العصر الحديث ظهرت الفاشية والنازية كنظام عنفويّ، تعبيراً عن نظرية عرقية مقيتة، خلال مرحلة كانت فيها الصهيونية تخوض أشرس معاركها السرية والعلنية من أجل تطوير أداتها العدوانية بحذق، أتاح لها أن تتجاوز موقف «النيتشيزم» المؤسس على مبادئ التفوق العنصري للفليسوف الألماني فردريك وليام نيتشه، وذلك دون أن تبعدها المعارك اليومية عن المشي بين الأمم بالادعاء الكاذب حول «التفوق» المستوحى من مقولة شعب الله المختار المؤمن بالسيف والقوس وأهداف رب الجنود الإرهابية حيث ظل يحضهم على الأخذ بألف تفسير وتفسير، يجيز عنف الأيديولوجية، ويحض على ارتكابه.

ولعل الذين شغلتهم هموم الحياة قد باتوا يتساءلون:

ما معنى هذه الأيديولوجية؟

إن مفهوم الأيديولوجيا ليس مفهومًا عاديًا يعبر عن واقع ملموس فيوصف وصفًا شافيًا، وليس مفهومًا متولدًا عن بديهات فيحد حدًا مجردًا، وإنما هو مفهوم اجتماعي تاريخي، وبالتالي يحمل في ذاته آثار تطورات وصراعات ومناظرات اجتماعية وسياسية عديدة، إنه يمثل «تراكم معان» مثله

في هذا مثل مفاهيم محورية أخرى كالدولة أو الحرية أو الإنسان.[(١)]

إن كلمة أيديولوجيا دخيلة على جميع اللغات الحية، تعني لغويا في أصلها الفرنسي: علم الأفكار، لكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي إذ استعارها الألمان، وضمنوها معنى آخر، ثم رجعت إلى الفرنسية، فأصبحت دخيلة حتى في لغتها الأصلية.

وقد بدأ اليهود «قبل أن يكونوا صهاينة» بفكرة محددة حول نعمة اصطفاء الإله، ثم تحولت «الفكرة» على أيدي الذين خرجوا على شريعة موسى إلى أيديولوجية عنصرية تهتم بتربية عضلات أبنائها حتى يكونوا قادرين على سلب الأمم حقها في الحياة، باسم «الحق» الإلهي الذي نزَّل عليهم المنَّ والسلوى «سنعود إلى ذكر أسباب اختيار الله لليهود -المشروط- بعد قليل»، لكن ما يمكن قوله الآن في هذا الاختيار: إنه لا يحمل لدى اليهود سوى تفسير واحد، أنهم مدار كل نشاط ملهم وإبداعي في الحياة، وأن ما عداهم لا يعدون أن يكونوا نجاسة، وأولادهم لا يصلحون لشيء إلا ليكونوا أرقاء وعبيدًا في خدمتهم، وليس بمستغرب أن تكون اليهودية -بنظرهم- أم الحضارات الغربية والشرقية.

من هنا تكون حلقات هذه «الفكرة» قد انضوت في سلسلة حديدية، أبرز ما تمتاز به عن غيرها: الاهتمام المتناهي بتنمية الروح العسكرية حتى يصبح الجميع في حالة تعبئة مستمرة، لدفعهم ضد تطوير المجتمعات وحركة التاريخ، والعمل الدائب على دعم الصلات بجميع الأنظمة التي تقوم على قهر الإنسان واستعباده، وقد تناسوا أن أسبرطة كانت تتيه بقدراتها القتالية،

---

(١) عبد الله العروي (مفهوم الأيديولوجيا) المركز الثقافي العربي -الدار البيضاء- المغرب (ص ٥، ٩).

ولبثت تخطط لتنفيذ استراتيجية الدمار ضد الشعوب المجاورة لها ،وتناسى الصهاينة أن أثينا كانت تقع على مرمى غير بعيد من أسبرطة مثل لؤلؤة تشع بالفضائل وتغرس الحكمة والفلسفة وتشيع الخير والجمال وأنفاس الشعر بين جميع الأرجاء ، وبحروف لا تزال محفورة على جبين الزمن قال التاريخ كلمته في أسبرطة ذات النهاية المفجعة. وبعنف القوة الشريرة، تصارعت العنصريتان، النازية، والصهيونية، ودخلنا في معركة استعملت الصهيونية فيها الأقلام، والجنس، والمواد الناسفة، وأساطير العهد القديم، واشتد أوار حربها ضد مقولات وأفكار الفرد روز نبرج الملقب بفيلسوف النازية، وخاصة حين ذهب في ادعاءاته إلى أن الدم الألماني أنقى الفصائل، وأنه يحمل في كراته الحمراء والبيضاء خلاصة عرق التفوق والعبقرية.

وتناسى العنصريون مكونات الشعب الصيني، وما قدمه -بغير استعلاء- للبشرية قبل الميلاد، من خلال إبداع الحكماء والفلاسفة والكتاب، وكذلك ما قدمه حكماء مصر وبابل وفينيقيا من خير للعالمين كافة، بما يؤكد أن تفوق شعب على شعب في مرحلة ما لا يمكن أن يكون قد تحقق بالاستغلال والعنصرية والقوة، وإنما بالعدل والحق والرحمة والأخلاق.

لقد أخذ الصهاينة جانب العمل بالتعريفات الإنسانية للأخلاق، ولنيتشه مفهوم منحرف حول الأخلاق استفاد العنصريون منه في تأسيس مذهب القوة.

يبحث نيتشه عن اشتقاق الكلمات المستعملة في القاموس الأخلاقي، فيكتشف: الصالح يعني في مبادئ اللغات القوي النبيل وأن الفاسد يعني الضعيف المغلوب العامي، كانت إذن الأخلاق الصالحة في البداية، هي أخلاق الأشراف أسياد الحرب الذين يطيعون بدون تردد نزوات الجسم الطبيعية، ثم ثار ضدهم رجال الدين الضعفاء المرضى الحسودون والتجؤوا

إلى الحيلة لإضعاف أسيادهم، فلفقوا خرافة الضمير والحرية والمسؤولية.

الواقع أن الغريزة هي التي تعمل من خلال فعل الفرد القوي وانفعال الفرد الضعيف، ليس هناك خيار ولا حرية، ولا معنى للمسؤولية ولا محل للضمير، إن هدف الغريزة وهدف الفرد شيء واحد هو العلة الأولى والأخيرة لأي حدث، إلا أن الضعيف رأى من مصلحته أن يقول للقوي : أنت حر، لك الخيار؛ ليحمله مسؤولية ما يفعل وليضعف إرادته بعقال الضمير المصطنع.[1]

ويتصفح نيتشه أخبار التاريخ فيرى فيها حربا دائمة بين القوي والضعيف، بين الصحيح والمريض، بين السيد والمستضعف، لقد مثلت روما القوة والصحة والسلطان أحسن تمثيل، وعبر الدين المسيحي عن الضعف والمرض والمسكنة، عن روح اليهود الذين غلبوا واستضعفوا منذ قرون، ثم انبعثت روح روما في عهد النهضة، فقامت ضدها حركة الإصلاح التي أحيت روح العهد القديم.

على هذا النحو، يصبح من البديهيات أن تتناقض النظرة العنصرية مع قيم الحضارة العربية التي ازدهرت تحت مفهوم « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» ولا تحمل التقوى هنا ـ كما يروق للبعض ـ الاعتقاد بأنها الانقطاع عن الحياة وعدم مواكبة التطور، ولكنها التطور بإيمان معرفي دفع العرب وهم فوق ذرى الرقي أن ينظروا في اليهودية لا على اعتبارها «عنصرًا» وإنما رأوا فيها دينًا من الأديان السماوية، ولم تكن في نظرتهم للأجناس شبهة عنصرية منذ أن اعتنقت جماعة من عرب اليمن شريعة موسى، وكانوا كغيرهم من العرب اليهود تكذيبًا صارخًا لدعوى العرقية

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦ , ٣٨

الصهيونية التي تزعم أن اليهود جميعا ينحدرون من الأسباط الاثنى عشر.

هذا موقف لا ينسى، وإذا تناسى الصهاينة مواقف العرب المضيئة معهم فإن التاريخ لا يزال يحتفظ في جعبته بالكثير، ومن لا يذكر حكاية الإمبراطور الروماني «طيطس» حين طردهم من بيت المقدس ففتحت مصر لهم أبوابها، ثم عادوا إلى القدس بعد ستة قرون على يد محرريها العرب؟ ومن لا يذكر حكاية طردهم من القدس على يد الصليبيين، ثم حررها صلاح الدين فعادوا إليها خلف جيش البطل العربي؟.. ليس هناك قطرا من الأقطار العربية إلا وكانت لليهود فيه حقوق المواطنة وحرية التعبير والبيع والشراء والتنقل وممارسة الشعائر الدينية، وكانوا يؤلفون كتبا بالعبرية والعربية.

إن اللغة شاهد حضاري لا يكذب، وتذكر حروف الزمن أن اليهود في البلاد العربية تكلموا لغة العرب، إذ كانوا يفضلونها على استعمال الرموز والتعبيرات الغامضة ما دام لا يوجد هناك من يحجر على حياتهم، بينما كانوا في أوربا يحملهم الاضطهاد إلى العيش في «الجيتو» حيث الانكفاء على الحياة المنعزلة واستخدام لهجات لا يفهمها أحد غيرهم.

ومن المعروف في علم اللغويات أن اللجهات الخاصة إنما تنشأ من احتياج الفئة المضطهدة إلى استخدام أداة «سرية» لا يتوصل مضطهدوها إلى كنهها وحل ألغازها.

وهكذا نشأت «اليدش» و «اللادينو» ، وليست أي منهما تعبيراً مشتقًا من اللغة القومية، فالأولى هي لغة الإشكناز مشتقة من الألمانية (وكلمة الإشكناز نفسها تعني ألمانيا)، والثانية وهى لغة السفارديم مشتقة من الأسبانية (وسفراد تعني أسبانيا).

يذكر يفجيني يسيف أنه ليست في إسرائيل لغة مشتركة، وأن الإسرائيليين في الجلسة الأولى والثانية في البرلمان «الكنيست» ناقشوا كافة مشاكل دولتهم باللغة الروسية.[١]

على العكس من ذلك تمامًا، نجد أن اللغة العربية منذ ما قبل الميلاد وما بعده وهى تتصادى فى الفيافي وتلهج بها الألسنة في شتى الأمصار، ولم تنطو على نفسها في عزلة أو في انكسار، بل ازدادت شيوعا حين أسقط العرب بالعدل والمساواة وروح التواضع والرحمة دعائم استبداد العوالم القديمة، وسار عدلهم من مكة إلى الصين شرقًا حتى أسبانيا غربًا، وقد اغتذت الإنسانية بضخ شرايين الدماء العربية في قنوات الشعوب، الأمر الذي ظهرت أثاره في خلق أنماط وأشباه تحمل من السمات العربية الكثير.

ولا جرم أن الشبه قليل بين العربي أيام حضارته واليهودي الذي عرف منذ قرون كثيرة بالنفاق والبخل، وإن من الإهانة للعربي أن يقاس باليهودي، ولكن لا ننسى أن طرق الحياة الخاصة التي خضع اليهود لحكمها منذ قرون كثيرة هي التي أنشات منهم عرقًا ذليلاً غير محترم، وعندي أن كل أمة تكون عرضة لمثل ما أصاب اليهود، ولا تعرف عملاً لها غير التجارة والربا، وتحتقر في كل مكان، وتنتقل إليها الغرائز المنحطة بالوراثة المتتابعة مدة عشرين قرنًا -وأكثر- فتتأصل فيها، تصير إلى ما صار إليه اليهود لا محالة.[٢]

---

(١) هنري كوريل «ضد الحركة العربية» تأليف إبراهيم فتحي . دار النديم للصحافة والنشر ط أولى (ص ٧٩).

(٢) جوستاف لوبون: نقلا من «الإسرائيليات في الغزو الفكري» عائشة عبد الرحمن معهد البحوث والدراسات العربية (ص ٧١).

لقد أوجدت التجارة لهم وأعمال الربا «القوة»، ثم رأوا أن يكون لهم ـ تبعًا لذلك ـ «الحق» فيما لا يملكون، حتى دخلت القوتان، قوة «الحق»، وقوة «المال» في عراك، ولا يزال أمام الحق «العدالة» مجالاً فسيحًا يناضل فوق أرضه، ويرد على المنطق الناشط في اتجاه ليّ أعناق الحقائق بالظلم.

إن القوة واضحة لا يختلف فيها اثنان، ولم يتمكن الناس من جعل العدالة قوية، لأن القوة ثارت على العدالة، وقالت لها: إن القوة هي العدالة ولذلك عندما لم يكن من المستطاع جعل الشيء العادل قويًا، جعل الشيء القوى هو العادل.[1]

ذلك المفهوم الذي تجذر في وعى العنصريين «النازية / الصهيونية» حتى آمنوا بأسلوب القوة الغاشمة، ولكن مع اختلاف طفيف بينهما، إذ إن الألمان حين استعملوا القوة لم يكونوا ينطوون على الخبث ولم يكن فيهم عرق ذليل غير محترم، بغض النظر عن المواقف التي أدت إلى الهزائم التي حاقت بهم، لأسباب عديدة، منها: أنهم لم يديروا مشروعهم الاستعماري بعقلية «صهيونية!!» تؤمن -فقط- بالقوة.

يقول العالم الاجتماعي «أريك فروم» اليهودي: إن إسرائيل باعتمادها الكلي على القوة تحول الناس إلى أشياء في سبيل ما يسمى «بالتكيف» و«النجاح» . . إن هذه القوة هي رفض الإيمان بأي شيء حي.[2]

بهذا الوضوح . . من لم يستطع التكيف مع القوة الصهيونية يكون قد قضى على نفسه -مع إيمانه- بالموت حيا، فبالقوة كان «النجاح» حليفًا لجماعة الحالوتسيم «الرواد الأوائل» أمثال يوشع بن نون الذي حمل الراية بعد موت

---

(١) الأمير مصطفى الشهابي. محاضرات في الاستعمار ص ٦٢

(٢) صلاح زكي: نظرية الأمن الإسرائيلي .دار الثقافة الجديدة. القاهرة. ١٩٧٨ ص ٢٤.

النبي موسى وسار باليهود الذين خرجوا من أرض مصر إلى أرض الكنعانيين، ومنهم داود وشاؤول ونحميا وباركوخيا، ولا يوجد واحد من هؤلاء إلا واستعمل آلة الحرب وطورها كتعبير عن تكوينات الحياة اليهودية وكما أتقن مؤرخوها رصد أحوالها.

وصوروا الأمة اليهودية في نشأتها على أنها جماعة محاربة من الرعاة الوثنيين من الغزاة، فيبرديشفسكي على سبيل المثال ينظر إلى الوراء إلى الأيام التي كانت فيها «رايات اليهود مرتفعة» وينظر إلى « الأبطال المحاربين- اليهود-الأوائل» فالحاخام اليعازر قد بين أن السيف والقوس هما زينة الإنسان.[١]

وعلى درب الطبيعة الوثنية تشكلت حياة هؤلاء القوم بعيدًا عن روح قوانين الإنسانية التي تؤكد أن مستقبل الأخلاق يقرر عدم الخضوع للقوة.

وعلى الإنسان أن يحارب ما هو جائر من تلك القوانين وأن يبدل بها قوانين خلقية إنسانية،ثم إن فلسفة القوة تنكر الحق الطبيعي، وتجعل القوة مادة مستقلة، كما تجعل روح الشريعة تابعة لإرادة الرجل الأقوى وكل ذلك غير إنساني، فالحق موجود، وهو في ذاته قوة وضمان وسلوى، وصاحب الحق يلقى لدى الحياديين المنصفين عطفًا.[٢]

نعود بعدئذ إلى ما تجوزناه سلفا حول «الاختيار» أو «الوعد» الذي ادعوا أن الله اختصهم به، والحقيقة أن «اختيار» الله لليهود كان «مشروطا» بالاستجابة لصوته، وحفظ عهده كما تنص الآية:

أما موسى فصعد إلى الله، فناداه الرب من الجبل قائلاً: هكذا تقول

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٠).

(٢) الأمير مصطفى الشهابي: مصدر سابق (ص ٥٦).

لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل: إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب.[١]

فهل استوفوا هذه الشروط؟

تجيب على هذا أفعالهم التي عبر عنها الرب وهو يخاطب موسى أثناء خروج اليهود من مصر.

وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب، وإذا هو شعب صلب الرقبة، فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم.[٢]

وأيقظ الله موسى ليخاطب الشعب قائلا:

اذكر. لا تنس كيف أسخطت الرب ألهاك في البرية. من اليوم الذي خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيتم إلى هذا المكان، كنتم تقاومون الرب، حتى في حوريب أسخطتم الرب عليكم ليبيدكم.[٣]

وفي سفر العدد وصف دقيق لأعمالهم في وجه الرب، وفيه تضمين لموقف الرب وحكمه النهائي فيهم.

وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة عليَّ؟.. قل لهم: حيٌ أنا يقول الرب: لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذني، في هذا القفر تسقط جثثكم.. أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة عليَّ، في هذا القفر يفنون وفيه يموتون.[٤]

(١) سفر الخروج ١٩ : ٣ - ٥ .

(٢) الخروج ٣٢ : ١ ، ١٠ .

(٣) سفر التثنية : ٦ - ٨.

(٤) سفر العدد ١٤ : ٢٦ - ٣٥.

ظهور أول محفل ماسوني في التاريخ على يدي هيردوس

قيل: إن الماسون من البيثاكوارثيين، وأنهم جماعة تنسب إلى الفيلسوف اليوناني «بيثاكوارس» الذي كان مولده عام ٥٨٢ ق.م، وأنه تجول في كل من مصر وسوريا، وفي مصر أخذ المعارف وأصول العلوم السرية على أيدي كهنة مدينة هيوليوبولس وطيبة، وبعد عودته إلى روما أنشأ جمعية يقال أنها الماسونية.[١]

ولأن هناك أكثر من قول حول نشأة الماسون، فقد صاحب كثرة الأقاويل زيادة في أحجام البلبلة والغموض، ومن النقيض إلى النقيض يتضح أن الصهيونية العالمية الآخذة في دعم أنشطة الماسون كانت ترى ضرورة عدم ذكر التاريخ الحقيقي لظهور الحركات السرية والجماعات التي نشأت في أحضانها وبمساعدتها، ولها في ذلك تقدير تبتغي من ورائه خلق مناخ من عدم اليقين بشيء، حتى يسلس بين يديها قيادة الشعوب بأسلوب مؤثر ومحكم في التضليل، وبحيث لا يمكن لأحد من البشر - بسهولة- استكناه الخفايا أو ما يموج تحت قشرة النواة «القوة الخفية» المعطلة لمسار الشعوب المبتلاة بظهور هذه الجماعة فوق أرضها والزج بها في شبكة الاستسلام لأهداف الصهيونية.

---

(١) ويليام غاى كار (أحجار على رقعة الشطرنج) ط ٣- دار النفائس - بيروت سنة ١٩٧٩.

كانت السمة في تكوين « النواة» الماسونية منذ تحدرها من بين أصلاب الفكر المنشق على التوراة قد حظيت بديناميكية أصبحت قادرة على الحركة بدربة تتبنى الجانب الميكافيللي ذي المرامي والأبعاد المتعددة الأهداف في وقت واحد، ووفق نسيج تغزله استراتيجية تتزيى بأردية تعجز العين عن رصد مثالبها وكشف عوراتها حتى تمكنت من التغرير بكبار القادة والزعماء ورجال الفكر والمهتمين بالإخاء الإنساني والعدالة والمساواة، وقد وقّعوا على استمارات طلب الانضمام إلى عضويتها.

وعلى الرغم من ضآلة هذه «النواة» وتناهيها في الصغر إلا أنه روعي أثناء وضعها- وحتى بعد أن تجذرت وصارت ذات أذرع طويلة ضاربة - ألا يعرف أسرارها وخواصها ومصادرها الطبيعية وعمرها الحقيقي وعناصر التربة التي أنجبتها، سوي حفنة من الآباء وواضعي المخصبات على طريق انتشارها؛ وذلك لكي تظل معرفة الشعوب بها قاصرة على نتائج التسليم بأن هذه شجرة لها فروع وجذع وأغصان، أما النواة - مصدر حياة الشجرة - فذاك سر لا بد من الاحتفاظ به بعيدًا عن مناطق الرؤية والأفهام.

لقد ظل التاريخ الحقيقي لنشأة الماسونية مخفيًا عدة قرون، فمن قائل: إن بداية ظهورها كان يرجع إلى سنة ٧١٠٥ ق.م، ومن يقول: إن ظهورها الثاني يعود إلى بداية سنة ١٠٠٠ ق.م إلى سنة ١٥١٧م، ونسب البعض من البحاثة ظهورها - إمعانا في بلبلة العقول - إلى عهدي داود وسليمان (عليهما السلام)، ومن قائل: إنها بعد أن تجاوزت الشكل الثاني من عمرها، انقسمت الماسونية الحديثة إلى طورين: الطور الأول من سنة ١٧١٧- ١٧٨٣م واستمر حتى بداية هذا القرن، ثم ذهب فريق إلى القول بأن الماسون ظهروا أيام الحرب الصليبية التي كان ابتداؤها عام ١٠٩٥ وانتهت عام ١٢٦٢م.

ومن الادعاءات الكثيرة الباطلة إجابة أحد مؤسسي المحافل الماسونية عندما سئل عن أهداف الماسونية بأن مبدأ الماسونية قائم منذ الأزل يوم كون المهندس الأعظم السموات والأرض، وخلق آدم وهو أبو الماسون واعيًا في صدره العلوم والفنون بارعًا في علم الهندسة.

لقد تم ذلك قبل أن تهتم مصر بالهندسة، بل وقبل أن تنتقل إليها بواسطة «مصرايم» أحد أولاد حام بن نوح (عليه السلام)، وكان ذلك بعد تبلبل الألسنة عند بناء برج بابل بست سنوات، أي بعد حدوث الطوفان بمائة وستين سنة.

وادعى الماسون أنهم شاركوا في بناء أهرامات مصر ثم شيدوا الكثير من القلاع والكاتدرائيات، وفى العصر الحديث، قالوا:

«إن أول مشروع عظيم أجروه في اسكتلندا هو بناء أديرة كلفانين وذلك عام ١١٤٩». [١]

ولا يزال آباء الماسون يزعمون أن صناعة البناء كانت تعرف بهم، وفي العصر الحديث صاروا يعرفون باسم البنائين الأحرار، وأن الشهرة التي حظوا بها في مجال تشييد المباني منذ بناء هيكل سليمان تشهد لهم بالفوز في هذا المضمار.

بينما الحقيقة أن مذبح داود، وهيكل سليمان، كانا أقيما بمساعدة «حيرام» ملك صور الذي أرسل إلى أرض كنعان مجموعة كبيرة من البنائين والنجارين وكتلاً من خشب الأرز.

وجاء في سِفر الملوك أن النبي سليمان شرع في بناء هيكله « في السنة الأربعمائة والثمانين لخروج بني إسرائيل من مصر، في السنة الرابعة لمُلك

(١) إيليا الحاج: "خلاصة الماسونية" مطبعة الترقي بمصر (ص ٩).

سليمـان إسرائيل» واسـتخدم في بنائه مـقادير كبـيرة من الذهب والفـضة والنحاس والحديد والأرجوان والقرمز.

يبين من خـلال ذلـك تضـارب حلقـات التـاريخ المـسندة إلى أقـلام ماسونية، حتى استطاعت تحت سطوة وتأثيـر الأدبيات السياسية والفكرية أن تستولي على قلب الحيـاة الغربية، وأن تحدد لمواطني هذه الدول زوايا الرؤية وتذوق الألوان والمشارب، عبـر حاسة غير قادرة ـ بمفـردهاـ أن تحدد وتصيغ وتتخذ القرار.

لكن عروق الحقيقة ما يجب أن تنقطع، ولا بد لوجود الخداع والتاريخ في هذا الصـدد أن تتداعى، ولعل الكثـيرين سيـندهشون غاية الـدهشة إذا عرفوا أن مـولد الماسونية الحقيـقي بدأ منذ اليوم الأول الذي أخذ اليهـود فيه يشغبون على السيد المسيح.

إن المناوأة لأفكار السيد المسيح، كانـت تدور في حلقة صغيرة، ولكن سرعان ما اتسعت رقعتها حتى أصبحت تمردًا، ارتفع لغْبَه تعبـيرًا عن أحوال النفس اليهودية التي أشعل حرائقـها الملك « هيردوس بن انتباس الأدومي بن «هيردوس الأول» الـذي ساعد جـيش يوليوس قـيصـر بقوات يهـودية أثناء إبحـاره نحو مـدينة الأسكندرية للاسـتيلاء علـيهـا ومحـاربة أنطونيـوس وكليوباترا، وكافأه قيصر على جليل خدماته بوظيفة حاكم لمنطقة الجليل عام ٤٤ ق.م.

أما «هيردوس الثاني» ملك اليـهودية، والذي نحن بصدد الكلام عنه، فقد عـاش في زمن السيد المسيح، ولبث ملكا على اليـهودية مدة ٤٣ سنة، وكان يقود أجنحة التمرد ويشن الحـملات الدعاوية ضد المسيح، وكان يرجع أسبابهـا إلى «الحالة الاجتمـاعية وبلبلة النفوس تحت دعـاوى المسيح» وتمرده

على أفكار الآباء والأجداد.[١]

كـان هم السيـد المسـيح في ذاك الوقت أن يخلع من النـفوس النزعـة الربوية وأفكار الآباء والأجـداد المتمثلة في طقـوس الوثنية التي دأب اليـهود على انتزاعهـا من «التراث» والنقل من الماضي ومحاولة ترسيـخها بين ربوع الحاضـر المسيحي الوليـد، وانشغالهم المسـتمر بالحـياة التي يحكمـها منطق الأشياء الثلاثة: التجـارة، والربا، والدين، وفي معظم الأوقات كانت تدمج هذه القوى الثـلاث لتصبح وجهين لعـملة واحدة، لقد حـصلوا على الثراء الخرافي عن طريق الدين من عمل التجـارة مضافا إلى الفوائد الربوية، وكل ذلك سـيفتـح شهيـة الناس لدينهم ويزيد من حـجم تأثيـره، وإيهام كـافة الشعوب أنه دين الأديان كلها، وأن ما عداه باطل وهراء، بل ويكفي أنه كان يكتسب حيويته من تحويل الكنائس إلى أسواق للمضاربة والربا وبيع أقفاص الفراخ! لذلك صعَّد «هيردوس» حملاته وهو يصيح في وسط الشعب:

« إن ما جرى منذ نشأة الدجال يسوع لـهو حرِيٌّ بزيادة الاهتمام والسعي إلى إيجاد وسيلة تسـاعدنا لمكافحة تلك الفئـة من الشعب الذين على قلتهم يضلون الناس بتـعاليـمه.. ويظهـر أن الاحتفـاء والتمـسك بتلك التعـاليم الدجالية يزداد انتشـارًا يومًا فيومًا، فالذين مالوا ميلا قطعـيا قد انفصلوا عن طائفتنا بتاتا، ثم وقوعهم في شرك الإغراء.. فلم يعد لنا من وسيلة لتلافى الخطر إلا أن ننشئ جمعية تتوحد فيها كلمة الأمة اليهودية توحدًا خفيًا».[٢]

يدعى «هيردوس» أنه يناهض المسيح وتلك الفـئة المضلة، والذين « قد

---

(١) صابر عبد الرحمن طعيمة: " الماسونية والصهيونية والشيوعية" دار الفكر العربي بمصر ص ٥٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٢.

انفصلوا عن طائفتنا بتاتًا»، مع أنه كان أحد البارزين في حركة إخراج اليهود من الديانة الموسوية، وهو الذي ساعد على قيام الهياكل الوثنية لعبادة الإمبراطور الروماني، ووضع تمثالاً من الذهب للنسر الذي هو شعار الدولة الرومانية على باب أورشليم.

العكس من ذلك تمامًا هو ما قام به المصريون، فقد كانوا يحترمون (دارا) بسبب استمالة نفوسهم بحسن المعاملة واحترامه لعقائدهم، إلا أنهم لم يرفعوه إلى مصاف ملوكهم من فراعنة الوادي، ورفض كهان منف أن يقام (لدارا) تمثالاً في معبد بتاح، مع أنه كان أقام على نفقته معبدًا عظيما بسيوه لعل المصريين يرضون عنه ويدخلونه في عداد الملوك.

وبعد أن وضع «هيردوس» التمثال الروماني طالب بإنشاء جمعية تتوحد فيها اليهودية في وجه المسيحية، فكان أول من وضع بذرة الماسونية فيها بمساعدة الخارجين على شريعة موسى والمتمردين على طريق السيد المسيح.

لقد اشتهر أعضاء هذه الجمعية بأن ما يذيعونه في العلن غير ما يضمرون ويدعون الإيمان لشريعة موسى، ويقرون بالنبوات.

«ويدعون أنها سوف تكمل وتتم عند مجيء المسيح، لكن ينكرون مجيئه، ويقولون بعد ما جاء: وأن الذي جاء ليس هو المسيح، هذا قولهم، وكفاهم أنهم يكفرون ويفتخرون مع الكفر، ويقولون أن المسيح كان ضالا مضلاً، وأما المسيح الحق فعتيد، إنه يأتي ويكمل نبوات الأنبياء إذا جاء، وإذا جاء اتبعناه وكنا أنصاره، وهذا رأيهم واعتقادهم في السيد المسيح، فماذا يكون أعظم من هذا الكفر الذي هم عليه».[1]

---

(١) ابن تيمية: "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" ج٢ مطبعة المدني - المؤسسة السعودية بالقاهرة (ص٢٢٦).

وتناسوا قول الله لنبيه موسى:

«أقيـم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به أنا أطلبه»(١).

وكان هم «هيردوس» الأول السهر على تعبئة الشعب، حتى استطاع أن يضم إلى صفوفه اثنين من شـواذ القوم، وأخبرهما إنه بصدد إنشاء جـمعية يكون هدفها الرئيسي مناهضة تعاليم السيد المسيح، مع أهمية «أن نتكتم عن الناس سر تأسيسها»، وبعد أن وصل أعضـاء الجمعية إلى تسعة أفراد أطلقوا على جمعيتهم اسم «البنائين الأحرار» نسبة إلى عملهم في مجال البناء، وقد تم عـقد أول اجـتمـاع لهم في دهليـز مظلم وفي سـرية حسب إرشـادات «هيردوس».

«حتى لا يرانا ولا يسـمعنا أحد، ولا يعرف بنا أحـد، والدهليز الذي نختار هو المحفل»(٢).

وتوالت اجتماعات الماسون الأوائل في الأقـبية، وفى الأماكن المهجورة خارج المـدن، وبازدياد عدد الأعـضاء وانتظامـهم في سلك أول محـفل في التاريخ، حدث تغير في بنيته. عادت على أساليب التمويه والخداع بكثير من أستار الغموض، وكمـا أراد «هيردوس» وأكد على ذلك بقوله: «إإنه السبب الحقيقي لتنظيمنا الماسوني الذي لم يتـعمق هؤلاء الخنازير من غير اليهود في معناه».

ما قيمة التعليق على كلام أول مـؤسس للمحافل الماسونية في العالم؟

---

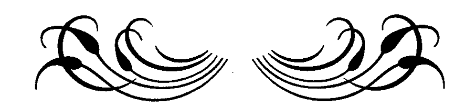
(١) سفر التثنية - ١٨- ١٥- ٩ .

(٢) صابر عبد الرحمن طعيمة : مصدر سابق (ص٦٦).

هيردوس الـزاني بـ «هيروديا» زوجـة أخيه «فـيليبـوس» والتي هى في ذات الوقت كانت ابنة أخـيه «ارستبـولس» والطامع في الزواج من «سالومي» ابنة «فيليبوس».

لن نشير إلى جريمة اشتراكه في قطع رقبة «يوحنا المعمداني» ولا إلى ما ذكره اليهود أنفسهم من أعمـال القتل التي وقعت لهم على يديه ولـم يعادلها سوى عمل النازية ضدهم، كما أنه كان الحاكم اليهودي الذي نفذ عملية قتل أعـضـاء مـجلس السـنهـدريم الأعلى وهو المجلس القـائم لـرعـاية العلوم والشريعـة، ولن نشيـر إلى بذاءة الألفاظ التي ظل يرمي بهـا السيـد المسيح باعتباره كـان عضوا في اللجنة التي تشكلت لمحاكمتـه قبل أن تصدر الحكم بصلبه.

لكننا سنكتفي الآن بالوقوف مدة قد تطول، لعلنا نعيد تصحيح معارفنا بعد الاطلاع على قول الحاخام «ديزاك» الذي ذكر فيه: «أن المحافل الماسونية هي من بين الجمـعيات العـديدة التي أنشأها اليهـود في جميع أنحـاء العالم لمعرفـة أسراره وسرقة أمـواله وتحطيم مقوماته والاسـتيلاء على مراكـز القوة فيه».





صورة لكارت بريدي انتشر في بولندا توضح الشعائر اليهودية ، والضحية تدعى آجنيس هوروزا، من بولندا، وكانت تبلغ من العمر ١٩ عامًا ، وتم اعتقال يهود اتهموا بهذه الجريمة.

بناة المحافل ... كيف استفادوا من الرمزية من وراء الدولية الماسونية الصهيونية؟

لطبيعة المهن والحرف أثر يغلب على تكوين وسلوك الأفراد، وعلى وتيرة الرتابة والعادة، تمكنت الحرف من نفوس المشتغلين بها، لدرجة باتت تخلع عليهم سمات وعبارات هى حصاد الجهد والعمل اليدوي والذهني.

ولعل آثار ذلك تظهر بوضوح في اللغة، كنشاط إنساني يساهم بني البشر في صقلها وبلورتها، وقد استغل «الماسون» ـ منذ بداية بناء أول محفل لهم ـ ذخيرة اللغة كأداة توارت في قلبها الأسرار، ونحوا بها ناحية اختفت وراءها أهدافهم الهدامة، وأثر ذلك ـ عمليا ولغويا ـ واضح في التصنيفات المحفلية حيث يضعون الإنسان على الدرجة التي يستحقها وبحجم المهام والأدوار المناطة به على طريق نشر الفكرة والتضحية في سبيلها.

فعلى مدارج التنظيم الماسوني، يلاحظ أن مهنة «البنَّاء»، وهى درجة لا تُمنح للعضو ـ أيًا كان وضعه المادي والأدبي ـ إلا بعد أن يكون قد أدى مهام درجة «المبتدئ» وهو «الصبي» بلغة أهل العصر، فبعد أن تنمو قدراته نتيجة الكد والممارسات والصقل، يكون «الصبي» قد تجاوز هذه المرحلة، وأصبح على درجة «الشغال» ثم لا يدري «الشغال» كم من السنين تمر به قبل أن ينتقل إلى مرتبة «الأستاذ السري».[1]

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع علي شلش " اليهود والماسون في مصر" الناشر الزهراء للإعلام العربي سنة ١٩٨٦.

ومن المعروف داخل هذا التنظيم، أن هناك ثلاث وثلاثون درجة يتدرج عضو المحفل الماسوني في سلمها، ومنها على الترتيب:

١ ـ التلميذ (الصبي).

٢ ـ زميل الصنعة أو الرفيق.

٣ ـ الأستاذ أو الأسطى.

٤ ـ الأستاذ السري.

٥ ـ الأستاذ الكامل.

٦ ـ السكرتير أو الأمين.

٧ ـ الوصي أو القاضي.

٨ ـ مراقب البنايـة.

٩ ـ مختار التسعة.

١٠ ـ مختار الخمسة عشر.

١١ ـ المختار الجليل.

١٢ ـ الأستاذ المهندس الأعظم.

أما بقيـة الدرجات، فإنها ظلت مخـفية، والمشهور منهـا: (التلميذ / زميل الصنعة)، و(الأسطى / الشغال)، و(الأستاذ).

وبالنظر ـ الآن ـ في تصـنيفـات الأعـمـال المنوطة بكل درجـة، نجـد «الماسون» وهم يحتفون بلغتهم، لم ينسـوا أن يعيدوا تقييم الدرجات كلها، لكي تواكب الدلالة اللفظية حاجة العصر في المراحل الثلاث:

الأولى: المرحلة الابتدائية الرامزة.

الثانية: المرحلة المتوسطة الملوكية.

الثالثة: المرحلة الكونية وتضم حكماء إسرائيل.

وتشـارك اللغة (الطقـوس / الشـعائر) داخل المحـافل في لعب أدوار مؤثرة على طرائق السلوك والمعـاملات، إذ لا يوجد ثمة تفـاوت بين الصبي في المرحلة الابتدائية وبين العضـو الذي وصل إلى مرتبة الأستاذ، وذلك من حيث التقدير الأدبي والمادي معًا، ويظل الجميع هناك تتلبسهم أردية الأخوة، ولا ينادي على أحد منـهم، أيًا كانت درجتـه إلا بكلمة «الأخ» تعبـيراً عن المبادئ الأساسية التي لا تجـيز للعضو الكبير التمتع بشيء غير مـيسر للعضو الصغير، كما وأن الجميع ملتزمون بعدم مصاحبة أي إنسان من غير الأعضاء في الدخول إلى أروقة المحفل، ويحظر على من هم في درجة الصبي التطفل على أعمال الكبـار، وقد تمضي السنون دون أن يعلم الصبي شيـئا من المهام والمسـؤوليات الملقـاة على عاتق الشـغال (الأسطى) إلا بعـد أن يصيـر أهلاً لذلك، ولا يسمح لأي عضو- مهما كانت درجته - أن يتجاوز حدود علامته الرامزة.

ويلاحظ أن للإشارات والكـلمات الرامزة - في حـياة الماسون - سـحر الكنوز وقوتها، بحـيث لا يجوز ولا يسمح البتة لأحد من غـير الأعضاء أن يطلع عليها أو أن يسخر منها، فهى مفتاح العضو لكل باب مغلق، والمصباح المنير لهـداية «الأخ» الملقى على كاهله مـعاني الرموز واصـطلاحات الكنوز المخفية.

وفى ذلك نصت المادة ٤٣ من قانون الواجبات الماسوني على الآتي:

أن للإشارات والكلمـات والعلامات رمـوزًا اصطلح عليهـا، ولقد تخفى كنوزها هذه إذا فقدت مـفاتيحها، ولكن الأخ المجتهـد الغيور يجدها حالاً.

لقد اشتقت هذه الإشارات (الرموز) - كما ذكر آنفًا - من حرفة البناء،

لما كـانت تنطوي عليه من مكنونات غـير عـادية، ولبثت تأخـذ من أدوات الحرفة أسماءها، ثم تنأى بمحصلاتها في تغريب عن الواقع، بعيدًا عن عقول العـوام لكيلا تصـبح مدعـاة للامتـهان والزراية، ومن هذه الاشـتقـاقات: القدوم، والفرجار، والبوصلة، المزولة.

ثم استعمل الماسـون أسماء المواد الأولية للتعبـير عن حوائجهم، ومن ذلك: الطباشيـر، والفحم الحجري، والدلغـان، فكانوا يرمزون بالأول إلى دوام الشيء وتأصـيله فى المكـان، إذ لا يرمز أو يُـرسم به شيء ويمحى إلا وتبـقى آثاره، والرمـز الثـاني - وهو الفـحم - كناية عن شـدة حـرارة الأخ الماسونـي والتهاب غـيرته على الماسـونية، والرمـز الثالث يشـير إلى قـبول الماسونية في أحضانها كل طالب فاضل صاحب علم، وقد أحالوا هذه المواد إلى قوة.

فجعلوها ثلاث فـرق: الفرقة الرمزية العامة المباحـة للناس دون تمييز، والفـرقة المملوكـية التي لا يدخلهـا إلا الخاصـة، وتصدر الأوامـر للفـرقة الأولى، والفرقة الكونية الأكثـر سرية التي لا يدخلها إلا النفر القليل، وربما لا يعرف عنها أحد شيئًا إلا أعضاءها. [1]

بذلك، تمكنت الرموز من الحـركة بنعومة ثعبـانية خلف أستار أسبـغها عليها «هيردوس» الملك، والتزم به الخاصة من أتباعه الذين عملوا في العصر الحديث على تعـديلها بشكل لا نجزم أنه أصـبح نهائيًا، وإن كانت واجـبات العضوية المطعـمة بأدوات الترميز لا يزال البند ٤٩ من اللائحـة يحث جميع الأعضاء على معرفتها:

---

(١) د. علي شلش (اليهـود والماسون في مصر) الناشر الزهـراء للإعلام العربي - ١٩٨٦ (ص ٢٦١).

على كل فرد من أفراد عشيرة الماسونية أن يعرف حقيقتها، فهى طريقة رمزية مؤلفة من العلم والأدب ومجمعة من التاريخ والنظريات في الدرجات الثلاث الأول.

ولم نصادف أى بند يقطع بأهمية العلوم والأدب والتاريخ بالنسبة للبشرية جمعاء، ولكن البند ٤٩ اختص الماسون فقط بطلب معرفة حقيقة العلم والأدب، فما هي مصادرهما؟

تجيب على ذلك المادة ٦٣ من قانون الواجبات الماسوني:

الحواس الثلاثة هى المصدر الماسوني الوحيد، إذ بالسمع يمكنك أن تفهم كل الخطب الملقاة وبالنظر تعرف بها الإشارات والرموز، ثم باللمس تعرف أخاك إن بالليل أو بالنهار.

بأسلوب طلسمي، تنغلق قلوب أعضاء المحافل على ضبابية من المشاعر كأداة لمعرفة الإنسان عن طريق اللمس، عبر أعمال مضنية، منها ما هو نفسي وما هو جسدي، ولا يتم له الحصول على هذه «المعارف» إلا بعد أن يخوض الراغب في الانضمام للماسون غمار بحور من الرعب والقسوة، فإذا لم يرتج عليه دفع به أمام كاهن جالس في كرسي مرتفع وبيده سوط، وباليد الأخرى عصا معقوفة من أعلاها رمزًا للعدالة والإحسان، وإذا لم ير الكاهن في طالب العضوية ضعفًا، أمر بتسليمه إلى قائد متنكر على رأسه غطاء كرأس الكلب يسير به في اتجاه طريق حالك حتى يصل إلى مجرى مائي، فيقف به عنده، وفي يده كأس فيها ماء، وهو يخاطب المطالب بشرف العضوية قائلاً:

أيها الراغب في مؤاخاتنا، الساعي وراء السداد الأعلى هذا هو ماء النسيان تجرعه ينسيك جميع ما مر بك من الأدناس والنقائص فتصير أهلا

لاقتبال الفضيلة والحق الذي ستشرف بنوالهما الآن.

وعلى إيقاع مجموعة من الترنيمات الموسيقية، وقبيل الختام يتصاعد نغم الانتصار إشارة على فوز الراغب، ثم تتلى عليه العلوم عملاً بنص المادة ٤٩ من قانون الواجبات فيصبح بعد ذلك حبَّة فريدة في عقد سعاة الكمال، ويسمح له بتلاوة القسم التالي - حيث تكون مرحلة تكريزه وتعميده قد انتهت:

أقسم بمهندس الكون الأعظم أنني لا أفشي أسرار الماسونية ولا علاماتها، ولا أقوالها وتعاليمها، ولا عاداتها، وأن أصونها مكتومة على صدري إلى الأبد.

وللماسونية شرط أساسي تضعه أمام من يريد الحصول على عضويتها، إذ لا بد أن يكون مؤمنا بوجود كائن أسمى ومؤمنًا أيضا بفناء الروح، وهو شرط إلحادي، يغتال الإله في أرواح مخلوقاته الفانية، وبذلك يتجلى بطلان ادعاءاتهم تقديس الله كمهندس أعظم للكون، ويصبح الادعاء بتبني الفضائل الدينية دون الالتزام بدين معين قناعا ماسونيا قبيحًا، حتى وإن استطاعوا أن يخلعوا على نفوسهم مسحة من التسامح مع أي دين.

ولا نجد ثمة اختلافًا كبيرًا بين شعائر الماسون واليهود الذين أقلعوا عن الموسوية، ومن ثم أصبحوا تلموديين يؤسسون عقيدتهم على الإرهاب والهيمنة على مقدرات الشعوب، وسفك دماء النصارى ليلة عيد الفصح ابتهاجًا لخروجهم من مصر.

والمعنى الواضح هنا هو: إنها تخلط الشعائر والرموز اليهودية بشعائرها، وأن هذا الخلط ليس من السهل أن يأتي عن طريق المسيحيين من منظريها، ولا عن طريق المسلمين من أنصارها، وإذا جاء عن سبيل التسامح

فلا بد أن يكون لليهود دخل فيه، أو في اقتراحه.[١]

ويميط الكونت دي بونسان اللثام عن حركة الماسون خلال محاضرة له بعنوان «جمعية أمم دولية ماسونية»، وفيها يؤكد أن المخططات التي وضعتها الماسونية سنة ١٩١٧ قد حققت أغراضها كاملة وحيل الماسونية تتم دائمًا بتدخل صامت خفي غير ملموس.. وكل أهدافها ترمي إلى إلقاء العالم المسيحي في جحيم مستعر يقضي عليه لتقوم على أنقاضه الدولية الماسونية الصهيونية.

ولم يرض اليهود عن بعض النتائج التي يحققها الماسون، فأنشؤوا هيئة أخرى علنية تؤدي نفس الهدف وتعمقه تحت شعار الإخاء الإنساني، وأطلقوا على هذه الهيئة اسم «أندية الروتاري» وظلت المؤمرات مستمرة على أيدي اليهود ضد الدول والزعماء داخل جمعية سرية تنشط في قلب جمعية سرية أخرى، ودون أن يسمح للعضو بمعرفة أي شيء عن زملائه أعضاء الجمعيات الأخرى.

حتى رؤساء الماسونية أنفسهم ـ أى الماسونيون من الدرجات ٣٢ و ٣٣ـ يجهلون ما يدور في محافل الشرق الأكبر وفي المحافل المجددة التي أوجدها بايك ـ أى محافل الطقوس البالادية ـ والمحافل الخاصة التابعة لها التي يجري فيها تدريب النساء اللواتي سيصرن عضوات في المؤامرة العالمية وتلقينهن الأسرار.[٢]

---

(١) المصدر السابق : (ص ٢٥٤) .

(٢) وليام غاي كار "أحجار على رقعة الشطرنج" ط٣ - دار النفائس- بيروت سنة ١٩٧٩ (ص ٢٣).



المسيح يطرد الصيارفة من المعبد قائلا: (وقد جعل الرب بيته للعبادة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص . . لوقا-٢٣) هكذا صاح المسيح في تجار اليهود والصيارفة وهو يطردهم من المعبد بعد دخوله القدس تحقيقا لنبوة زكريا.

خط سير الثعبان الماسوني

الرئيس الأمريكي بنجامين
فـــرانكلين يرى أنهم يكونون
حكومة داخل الحكومة

قبيل عام ١٧٣٢م، أنشئ في مدينة نيويورك الأمريكية المحفل الماسوني الكبير ، وخلال الفتـرة من سنة ١٧٣٢م إلى سنة ١٧٧٣م كانت قد ظهرت بإشراف مـحفل بريطانيا الأعـظم عدة محافـل ماسونيـة عظمى في عواصم أوربا.

وفي سنة ١٧٨٩م، وقبل أن تنقل المنظمة الصهيونية نشاط أعمالها إلى الولايات المتحدة، أدرك «بنجامين فرانكلين» مدى ما تشكله من خطورة على حرية بلاده واستقلالها، فحذر مواطنيه إبان المؤتمر الذي انعقد لإعلان دستور الولايات المتحدة الأمريكية من خطر استيلاء اليهود على مقدرات بلاده:

هناك خطر عظيم يهـدد الولايات المتحدة الأمـريكية، وذلك الخطر هو «اليهودي».. أيها السادة، حيثما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب ويزعزعون الخلق التجاري الشريف، إنهم لا يندمجون بالشعب، لقد كونوا حكومة داخل الحكومة، وحينما يجـدون معارضة فإنهم يعملون على خنق الأمة مـاليًا كـما يحـدث للبرتغـال وأسبانيـا، ومنذ ١٧٠٠ سنة وهم يندبون مصيرهم المحزن لا لشيء إلا ادعاؤهم أنهم طردوا من الوطن الأم.

ثم حذر فرانكلين الشعب الأمريكي قائلا:

في أقل من ١٠٠ سنة سوف يتدفقون على هذه البلاد «أمريكا» بأعداد ضخمة تجعلهم يحكموننا ويدمروننا ويغيرون شكل الحكومة التي ضحينا وبذلنا لإقامتها دماءنا وحياتنا وأموالنا.

ويشهد الواقع حاليا مدى صدق نبوءة فرانكلين من حيث بسط النفوذ والتحكم والتدمير، لا بالنسبة لأمريكا فحسب وإنما بالنسبة لأوضاع الكثير من البلدان التي فتحت أبوابها أمام الغزو الماسوني الصهيوني.

إن المتابع لخط سير الثعبان الماسوني، ومحاولات التفافه ـ تحت أي لون أو شعارـ حول مصائر الشعوب، يرى كيف تخلى الصهاينة في بريطانيا عن الاسم القديم للماسون « القوة الخفية» و«البنائين الأحرار» لكي يعيدوا النظر ـ عام ١٧٧٧م ـ في بناء النظام الهيكلي للماسونية، بما يتناسب مع الجو البروتستانتي في بريطانيا وأمريكا، حتى تأثر بألوان فكرهم الأمير «فريدرك»، وسعى قبل أن يعتلي عرش بريطانيا لأن يكون عضوا في خدمة أغراض الماسون، وابتدأ حفل تكريزه في ١٤ أغسطس سنة ١٧٣٨م.

وفي أمريكا، انخرط جورج واشنطون في صفوف الماسون سنة ١٧٥٥م، وأنشأ محفلاً في فرجينيا دعاه محفل واشنطون الأسكندري، وبعد وفاته أرسل محفل ماستشوستس الأعظم في شهر يناير سنة ١٨٠٠م خطاب تعزية لزوجته أعرب فيه الأعضاء عن حزنهم، ثم طلبوا إليها أن ترسل إليهم خصلة من شعر الرئيس واشنطن لتحفظ في ذخيرة ذهبية وتبقى بين آثار المحفل الأعظم.

«فوضعت تلك الخصلة في ذخيرة من ذهب وهي باقية إلى الآن كدرة ثمينة، وكلما نصّبَ رئيس أعظم، يسلمه الرئيس السابق الذخيرة ليحافظ عليها، ثم يسلمها هذا إلى خلفه، فيبقى أعاظم الرجال في محفل

ماستشوستس يتداولونهـا كأنها كنز ثمين أثمن من الجواهر وأغلى من الفضة والذهب». [١]

ثم انضم إلى رئاسـة المحـافل ١٥ رئيسًـا أمـريكيًـا ابتداء من جـورج واشنطون إلى رونـالد ريجـان، وفي عـام ١٧٧٦م نـظم «آدم وايز هاوبت - يهودي. عـمل أستاذًا للاهوت والقانون الديني في جـامعة إنجولـد شتات»- جماعة «حـكماء صهيون» أو ما أطلق عليـهم «النورانيين» وصرح أن دعوته غايتها الوصول إلى حكومـة عالمية واحدة، تتكون من ذوي القدرات الفكرية الكبرى، واستطاع أن يـضم إليه ما يقرب من ألفين من الأتبـاع المتفوقين في ميـادين الفنون والعلوم والآداب والاقتـصاد، وأسس «المحفل الأكـبر» وهو المركز الرئيسي للماسونية.

وكان « توماس جيفرسون» أحد مؤسسي الولايات المتحدة ورؤسائها قد أصبح تلميـذا لوايزهاوبت، وعن طريقه تغلغل اليهود في المحـافل الماسونية التي أنشـئت في الولايات المتحـدة، وفي محاضـرة ألقاها اليـهودي «دافـيد بايلان» رئيس جامعـة هارفارد عام ١٧٩٨، أوضح فيها مـدى النفوذ المتزايد لليهود في الأوساط السياسية والدينية والاقتصادية. [٢]

أما في مصر، فقد بدأ الغزو الماسوني لها بافتتاح «محفل ميمونت رقم ٣٦٥ طبع قانونه باللغة الألمانية» و«محـفل ماغين دافيد رقم ٤٣٦ طبع قانونه باللغة العـربية» وتم هذا عقب أن مولت الصـهيونية مـشاريع «جمعـية بناي برث».

وثبت أن الماسـونية ومن ورائهـا جمـعية بنـاى برث كانتـا وراء الثورة

(١) شفيق بك مكاريوس (فضائل الماسونية) ط ثانية. مطبعة المقتطف سنة ١٩٠٠ (ص١٧).

(٢) وليام غاي كار (أحجار فوق رقعة الشطرنج).

الفرنسـية وقد حضر ٣٠٠ عـضو ماسوني يـهودي الاجتماع الذي عـقدته الثورة في ٢٣/٨/١٧٨٩م لوضع الدستور.

وبمجرد وصـول الحملة الفـرنسية إلى مـصر سنة ١٧٩٨ أسس قـادتها «محفل إيزيس» وفي سنة ١٨٧٥م أسسوا «محفل الأهرام»، على حين ظلت الإسكندرية من عام ١٨٧١ إلى عام ١٨٧٩ مركزًا للماسونية، حيث ظهرت بجاذبية أغرت أعيان البلاد ومثقفيها نحو الانخراط فى صفوفها.[1]

ولم يكن ثمة مـفر من أن يستخـدم بعض المصريين المحافل في تحـقيق أغراضهم خلال عهد إسماعيل الذي كان فترة اختمار للحركة الوطنية بجميع تياراتها، وكانت الظروف التي وضع فيها إسماعيل البلاد تشجع البحث عن مختلف الوسائل لعلاج أحوال الاقتـصاد المتردي والديون المتزايدة والاستبداد المطلق، وكـان النموذج الإيطالي مـن الماسونيـة مطروحًا في سـوق الحركـة الوليدة بكل ما فيها من شراسة ومؤامرات.[2]

في ظل وقوع مصـر نهبًا للقوى العظمى آنذاك، ـ بريطانيـا، وفرنسا ـ وتبعيتها للخلافة العثـمانية، تفردت بوضع مأساوي أتاح لهذه القوى العمل في أوصالهـا بالسكين والساطور، حتى بات مـفكروها ووجهاؤها يعتـقدون بأهمية الخلاص على هدى شعارات الإخـاء والحرية والمساواة، وسعى جمال الدين الأفغاني للحصول على نيل العضوية الماسـونية، وكان قد سبقه لنيلها «الأمير عـبد القادر الجـزائري» زعيم ثورة الريف ضد الفرنسـيين، في حفل

(١) محمد عبد الرحمن (العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل) منشأة المعارف - الإسكندرية (ص ٣٢٥) .

(٢) د. على شلش (اليهـود والماسون في مصـر) الناشر الزهراء للإعلام العـربي ـ القاهرة سنة ١٩٨١ (ص ٢٢٢) .

كبير جرى الإعداد له يوم ١٨ يونيو سنة ١٨٦٤ « بمحفل الأهرام» التابع للشرق السلمي الفرنساوي بالإسكندرية.

وتم اختيار «الأفغاني» رئيساً لمحفل «كوكب الشرق» في ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٧٧م، وفي ذلك، وصفت صحيفتا «مصر»، و «التجارة» التي كان يحررهما أديب إسحاق حفلة الماسون الكبرى التي خطب فيها «الأفغاني» بصفته رئيسا للمحفل:

_انتظم على مائدتها نيف ومائة قائل بالحرية والمساواة، ومعظمهم من وجوه الوطن ونبهائه، وفيهم فئة كبيرة من ذوي المقامات والعلماء من المسلمين وغير المسلمين، فقام الرئيس المحترم خطيبًا، يبين ماهية الحرية والمساواة والإخاء.[1]

إزاء شعار الثورة الفرنسية الذي رفعه الماسون، كان حب مصر يؤجج نفوس المعلمين من أبنائها والحالمين ببر الخلاص من الكابوس الاقتصادي والسياسي والعسكري الجاثم على أنفاس البلاد والعباد، وقد رأى «الأفغاني» - دعما لروح النضال ـ أن يحث أكابر القوم للانضواء تحت ألوية المحافل.

لأنه رأى فيها وسيلة للإصلاح والتغيير، مثلها مثل الصحافة والخطابة اللتين ارتبط بهما وقت دخوله الماسونية، ولا سيما بعد تفاقم التدخل الأوربي وسوء أحوال البلاد، ويبدو أنه أعجب بشعار الماسونية الذي رفعته في ذلك الوقت، وهو الحرية والإخاء والمساواة، وهو ذاته شعار الثورة الفرنسية الذي روجته المحافل التابعة لفرنسا في مصر.[2]

---

(١) د. لطيفة سالم (القوى الاجتماعية في الثورة العرابية) هيئة الكتاب القاهرة - سنة ١٩٨١ (ص٧٦).

(٢) د . علي شلش (المصدر السابق) (ص٢٢٤) .

وبعد أن أخضع الإنجليز مصر لهم سنة ١٨٨٢م، نشط الخديوي إسماعيل «١٨٣٠- ١٨٩٥ م» في بسط حمايته على أعضاء الماسون من الوجهاء والأعيان ورجال المال المسلمين والقبط، ومن بعده جاء ابنه ليساعد في نشر المحافل بطول البلاد وعرضها.

وفي نفس العام الذي اختير فيه جمال الدين الأفغاني ليكون رئيسًا لمحفل «كوكب الشرق»، أى في سنة ١٨٧٧ م، تم إنشاء محفلين أحدهما لمصر الوسطى ومركزه طنطا، والآخر لمصر العليا ومركزه القاهرة.

وبالقرب من ثكنات الجيش البريطاني بمدينة الزقازيق، أنشيء «محفل روح مصر» عام ١٨٩٠، وفي عام ١٩٠٠ أنشيء «محفل الكمال» في طنطا، وساهم شاهين بك مكاريوس في إقامة «محفل اللطائف» وهو اسم المجلة التي كان يصدرها بمصر وكان يدعو فوق صفحاتها إلى الأخذ بفكر الماسون وناقش رسالتهم، وتبادل الرسائل مع القراء وأجاب عليها «ملقيًا على رسائل الإخوة الأعضاء قبسًا من النور وفيضًا من إنسانية الماسون».

لقد تناوبت بريطانيا أدوار إقامة المحافل فوق أرض مصر مع فرنسا، وفي سنة ١٨٨٨م أنشؤوا في فلسطين أول محفل ماسوني ساهم في إنشاء المستعمرات التي استقبلت المهاجرين من رومانيا وروسيا لكي يضيفوا المزيد من بناء المستعمرات الزراعية، وكانت رؤوس هذه الأفواج تعج بالأفكار الاشتراكية من نوع ما أفرزه الفكر الأوربي في القرن التاسع عشر من سان سيمون إلى فورييه.. إلخ، وكان منهم الرواد الذين أسسوا الـ «كيبوتيزات الصهيونية».

وحقيقة الأمر بالنسبة لانضمام الأفغاني للماسون، فسرعان ما راجع مواقفه معهم بعد أن تبين زيف شعاراتهم، وانتقد نفسه مؤكدًا بوضوح:

إن شعارات الماسونية استدرجته وجعلته ينضوي تحتها، فإذا به يجدها مفعمة بالأنانية وحب الرياسة والأعمال التي تقودها الأهواء.[١]

ثم ينقل إلينا صورة مما كان يدور في حفلات الأنس والغواية، وهي صورة لا يد لأعمال الكفاح فيها ضد المستعمر، ولا قدم على طريق الإخاء والحرية والمساواة، وإنما فيها:

مرغبات أخرى للاشتراك فيها غير ما تقدم، مثل الرتب والنياشين وحفلات الأُنس، والملوك وأصحاب المقامات أميل من غيرهم إلى هذه الأمور، فلا عجب إذا اشتركوا في الماسونية، بل العجب إذا لم يشتركوا فيها.[٢]

وعلى الرغم مما أوضحه الأفغاني وأكد عليه، فإن نخبة من المثقفين المصريين والسياسيين في العشرينات من القرن المنصرم ظلوا ينتظمون في صفوف الماسون، وكان على رأس هذه القائمة وكيل الأمة المصرية وزعيمها سعد زغلول وعدلي يكن وعبد الخالق ثروت ومحمود رمزي نظيم وأحمد زكي أبو شادي، وأحمد ماهر باشا الذي انتخب أستاذًا أعظم حتى لقي مصرعه سنة ١٩٤٥، وفؤاد سراج الدين رئيس حزب الوفد الجديد الذي كان أستاذًا أعظم للمحفل الكبير الوطني المصري.

ولعلنا نكتشف بسهولة - إذا وقفنا أمام ذاكرة جورجي زيدان- مدى ما كانت تعج به من صور لا إنسانية، وعلى ما يبدو أنه كان يخشى من بطش جناح الماسون الإرهابي الذي آل على نفسه القيام بالتصفية الجسدية لمن يتخلى عن نشاطه معهم ويتفرغ للبوح بأسرارهم، وظل يؤثر الانطواء على

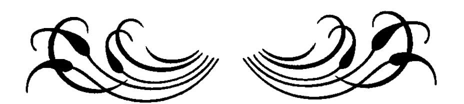
---

(١) «خطرات السيد جمال الدين الأفغاني» - بيروت- سنة ١٩٣١ (ص٢٨).

(٢) المصدر السابق : (ص ٢٦١).

سـريرة تزخر بشـتى التـفـاصيل حـول مـختلف الأعـمـال لقوى الماسـون وانتماءاتهم، واكتفى بالتلميح خوفا من أن يعرضه الإفشاء للأذى.

إذ بات التصـريح بها من المحظـورات التي نرجو قرب زوالـها يوم لا يحظر على أحد التصريح بما في ضميره.[1]



(١) جورجي زيدان (تاريخ الماسونية العام) دار الجيل بيروت (ص ١٥٠) .

نابليون... أول المعترفين بالصهيونية

يضعنا التاريخ الحقيقي لظهور أول فيروس صهيوني- اتصل بالحركات العمالية والثورية- أمام حرج بالغ، فقد كنا لا نعرف أن الفيروس الصهيوني قديم قدم التاريخ، وأنه في قواقع الحصون المنيعة آثر أن يحقق وجوده في الزمن المشبعّ بصور من التوراة وحكايات من السبي البابلي، وقصص الخروج من مصر، حتى ساق صهيون مواكب من الزمن الغابر إلى رحم المكان «الحاضر»، وبدأ في كل طور من أطوار حياته يرتدي الألبسة التي تتواءم مع ظروف الأمكنة من تقاليد وسلوكيات وعقائد للتمويه والتجديف، حسب ما تقتضيه المصالح والمواضعات وإمكانات المساهمة في انقلاب الشعوب على الحكام، وانقلاب الحكام على الشعوب.

في هذه الأحوال وغيرها، كان من الطبيعي أن ينتزع صهيون التأييد - لهدفه العنصري- المشبَّع بحماس المسيحيين وغير المسيحيين، وهو تأييد تقدموا به مشفوعا بالحجج الإنجيلية واللاهوتية، الأمر الذي يؤكد أن اليهود ليسوا -وحدهم- المؤيدين لفكرة الصهيونية.

فهناك كثير من الشخصيات غير اليهودية من ذوى النفوذ عبَّرت عن إيمانها بالفكرة الصهيونية وأعربت ببيان فصيح عن ميلهم الشخصي لها.[١]

ووقف على رأس هذه الشخصيات، «نابليون بونابرت» الذي كان يعتبر واحدا من عشرات القادة الذين سعوا إلى نصرة اليهود، ودعا إلى إحياء

(١) ريجانا الشريف: (الصهيونية غير اليهودية)- ترجمة - أحمد عبد الله عبد العزيز، عالم المعرفة - الكويت ديسمبر سنة ١٩٨٥ (ص ١٠).

مملكة القدس، والهدف من وراء ذلك: زرع جسد استيطاني في منطقة الشرق الأوسط يرعى -كرجل شرطة- مصالح الغرب الاستعمارية، وهي فكرة تساعده في ذات الوقت على التخلص من اليهود وتصدير مشاكلهم إلى الوطن العربي، وقد تبناها من بعد نابليون، بسمارك، وبالمرستون، وبلفور، وغيرهم من رؤساء دول الغرب.

وفي ربيع عام ١٧٩٩ أصدر بيانا طلب فيه من يهود أفريقيا وآسيا أن يقاتلوا تحت لوائه لإعادة مملكة القدس القديمة.(١)

وسواء أكانت دعوة نابليون تعبيرًا عن الخضوع والتأثر بأفكار صهيون، أو أنه كان يحاور شعوب إفريقيا وآسيا حتى يقبلوا الانضمام إلى صفوف جيشه مقدمًا الوعود الخلابة، لعلهم يساعدون في غزواته حتى يبسط نفوذه على الشرق بكامله، وأيًا كانت الأسباب فإن الجميع -في النهاية- سوف يخضعون تحت قبضته الطموحة.

ربما كان هذا صحيحًا، أو بعضه، أو أقله، إنما الذي لا شك فيه أن نابليون بونابرت، كان أول رجل دولة يقترح إقامة دولة يهودية في فلسطين، حيث دعا اليهود الذين اتفقوا على تمويل فتوحاته قبيل دخول جيشه إلى أرض مصر عام ١٧٩٩م، قائلا:

«أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد الذي لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومي، وإن كانت قد سلبتهم أرض الأجداد..»

وبعد أكثر من قرن على إلقاء نابليون خطابه هذا كان الصهاينة يضعون الورود على صدر قبره، ويقر وايزمان بأنه كان: أول الصهيونيين الحديثين،

---

(١) المصدر السابق: (ص ١٠٨)

وفى نفسه أحاديث من أمشاج لا تزال قوية، بل ولا بد من تطويرها بالتغذية على أموال صهيـون المدعمة للقادة والرؤساء، عن طريق أعمـال الجوسسة، وتقديم الجنود المرتزقة، والاتجار بأسلحة الدمار، وطريقة صهيون في التعامل لا لبس فيها ولا غموض فجميـع أبنائه يقدمون الدعم للحكام اليوم ليقبضوا -غدًا- على رقاب الشعب.

وهكذا توالت سلسلة طويلة من قروض هؤلاء المرابين الهدامة، تعقبها حقوق وامـتيازات مختلفـة حصلوا عليها كضـمانات لوفاء ديونهم، وبذلك أصاب الارتباك مالية الدولة الفرنسية.[1]

لقد أحدثت قروض المرابين اليهود حالة من التمزق في صفوف الشعب الفرنسي وفي مـحاولة لإيجـاد الحلول والاستفـسارات التي كـانت تموج بها رؤوس اليهـود، نشر موسى هيس في عـام ١٨٦٢م كتابه «رومـا والقدس» وحاول عبر صفحاته تهـدئة نفوس المرابين الذين كانوا يحكمون الخناق حول فرنسا، ويطالبون بمزيد من المكاسب على مستوى مقاعد السلطة ورسم المسار الاقتصادي للبلاد، وفي محاولة لتهدئة النفوس تساءل:

ألا تزالون تشكون في أن فرنسا ستساعد اليهـود على إقامة مستعمرات قـد تمتد من السـويس إلى القدس، ومـن ضفـتي نهر الأردن حـتى البحـر المتوسط؟.. إن فرنسا سـتوسع مهمة التحرير لتشمل الأمـة اليهودية، ويبدو أن الفرنسيين واليهود قد خلق كل منهما للآخر في كل شيء.[2]

إن المتابع لحركة الاحتواء التي طبقها صهيون في فرنسا، يلمس بسهولة أنها لا تختلف كثيرًا عن الخطوات التي طبـقت في بريطانيا من قبل، حينما

(١) وليلم غاى كار "أحجار على رقعة الشطرنج" دار النفاس (ص ٦٤).

(٢) موسى هيس "روما والقدس". ولمزيد من التفاصيل راجع وليام غاى كار.

كان «كرومويل» بحاجة ماسة إلى تمويل ضخم لعملياته العسكرية، وفتح الأسواق التجارية في آسيا وأفريقيا، حتى بات يعتقد أنه وجد بغيته في اليهود، بينما كانوا في ذاك الوقت يجدون فيه الجسر الموصل إلى قلب هذه البلاد.

ومنذ عام ١٦٤٩م، وهو يحاول الاعتماد على الجماعات اليهودية، لعلهم يُسدُون خدمات له بعملهم جواسيس ويزودونه بمعلومات عن السياسات التجارية للدول المنافسة له. (١)

في ذات الوقت، كانت خطط «صهيون» الجهنمية تترجم مضامين أهداف البروتوكولات وتعاليم «التلمود» وفق أهداف التحضير لتحقيق «الوعد» حتى قامت الصهيونية عام ١٨٣٩م بتنفيذ خطتها الأولي في فلسطين بعدد من اليهود لا يتجاوز ٩٦٩٠ شخصًا، وبعد أقل من مئة عام، وعلى التحديد في نوفمبر عام ١٩١٤م، اتسعت رقعة الأمل أمام «حاييم وايزمان» فعمق الرؤية لكي يتبلور الحلم ويتحقق الهدف، شريطة أن يدفع اليهود الإنجليز إلى استعمار فلسطين كخطوة أولى على طريق مشروع الاستيطان الصهيوني.

ومن الممكن الآن أن نقول: إنه إذا وقعت فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني وإذا شجعت إنجلترا بعد ذلك توطين اليهود كمستعمرة بريطانية، فإننا نستطيع أن نوجد خلال الثلاثين سنة القادمة حوالي مليون يهودي في تلك البلاد فيطورونها وينقلون الحضارة إليها، ويكونون حرسًا فعالاً لقناة السويس. (٢)

---

(١) ريجانا الشريف: مصدر سابق (ص ٥٩).

(٢) حاييم وايزمان: المانشستر جارديان - نوفمبر سنة ١٩١٤.

بهذه الأساليب، عرفوا كيف يستفيدون من التسهيلات البريطانية خلال سنوات الانتداب على فلسطين، وحينما كانوا يندسون تحت عباءة دولة الخلافة العثمانية التي كانوا يرقبون شيخوختها بنظرات رجال الحراسة الساهرين على مصالح الإمبراطورية البريطانية، أتيح لقانون (العودة) الصهيوني الخروج من ضبابية الرؤية، ومن أكوان التهويمات النظرية ليشق طريقه فوق أرض فلسطين، تلبية لنداء العودة الذي ينص صراحة على أن من حق أى يهودي أن يعود إلى إسرائيل و أن يمتلك أرضًا، أي أرض في أي مكان على أرض فلسطين، وسوف تدافع الدولة عنه حتى آخر جندي في الجيوش العربية!

بلفور ... والمعاهدات في خدمة الصهيونية:

قضت معاهدة (سايكس- بيكو) سنة١٩١٦م، بتوزيع تركة الرجل المريض (الدولة العثمانية) على المستعمرين الجدد، بريطانيا، وفرنسا، ثم لم تلبث الولايات المتحدة الأمريكية حتى أن ظهرت في الساحة الدولية كقوة عظمى لتنال الحظ الأكبر من الأنصبة المستلبة من خيرات الشعوب المبتلاة بالسقوط تحت نير الاستعمار، ولم يخف أحد من الموقعين على هذه المعاهدة تعاطفه مع المشاريع الصهيونية، وما من دولة استعمارية نجدها لم تأخذ سوى الجانب المؤيد للعنصرية، وكان التأييد الكامل يأتي كتعبير عن المنافع السياسية والتجارية والصفقات الربوية ذات الصبغة المتأثرة بصوفية الحكايات المستمدة من بطون «العهد القديم» وذلك استكمالا لحلقات المؤامرة الكبرى ضد الشعوب العربية.

وعندما كانت المؤامرة في طريق التنفيذ، كان يتم تدريب المئات من المخربين والمدربين في إنجلترا ودفعهم للانخراط في الشبكات الخفية التي كان

يديرها اليهود، والشيء ذاته يجري في أمريكا اليوم.[١]

وبصدور وعد بلفور سنة ١٩١٧م الخاص بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، أعطى من لا يملك لمن لا يستحق، ويلخص دافيد بن غورين الحياة القديمة والتي سوف تأتي بقوله: «بالدم والنار سقطت اليهودية، وبالدم والنار سوف نعود من جديد» وكانت مؤازرة أمريكا لهذه العودة أمرًا صريحًا صدر به قرار الكونجرس في ١٩ ديسمبر ١٩٤٥م.

فتح أبواب فلسطين لدخول اليهود بحرية إلى تلك البلاد وأن تتوافر هناك فرصة كاملة للاستعمار والتنمية بحيث تكون لهم الحرية في بناء فلسطين كوطن قومي لليهود.[٢]

واعتقد عرب ذلك الزمن أن السياسات الاستعمارية كانت السبب الرئيسي في جميع ما حاق بهم من نكبات ونكسات، وهذا حق، إلا أن معظم الناس لم يكن بمقدورهم الربط بين ما جرى لهم، وبين الأسباب التي قامت بمقتضاها ثورة أكتوبر، فقد شاءت النكبات أن يصدر وعد بلفور إبان قيام الثورة البوليشفية في روسيا سنة ١٩١٧.

فلم يكن لقيام الثورة البوليشفية أثر بالغ في الحياة الروسية فحسب، بل أن عنفوانها تجاوز الحدود بشكل أصبح يهدد النظام الإمبريالي بأسره، وكان لهذا أعمق الأثر على جميع الأوضاع الإقليمية والاستعمارية في العالم، وقد ساعد المناخ الجديد على الإسراع في تعبيد الطريق أمام إنشاء الكيان الصهيوني، خاصة وأن نواة هذا الكيان كان يقوم على أكتاف المهاجرين الروس، ومن الشراذم التي تركت مواطن ميلادها في الغرب.

---

(١) وليام غاى كار: مصدر سابق (ص١٤).

(٢) هانس مور جنتيو: (السنة الأمريكية في السياسة الخارجية)- ذكره د. بكر مصباح تنيره- مجلة المستقبل العربي سنة ١٩٨٢ نقل من مجلة الحقيقة "دورية".

ومن الحقائق المقررة: أن معظم اليهود في هذه المنطقة كانوا ينتمون إلى الحركة الاشتراكية، ومن الحقائق المقررة ـ كذلك ـ أن عددًا لا يستهان به من قادة الحركة الاشتراكية في أوربا كان من اليهود، وأن نسبة من اليهود كانوا منخرطين في التنظيمات العمالية الثورية.[١]

وفي أحضان الحياة الفرنسية، انخرط الشباب اليهودي في صفوف المدافعين عن فرنسا ضد جيوش النازي، حيث كانت نظرة الجميع إليهم -آنذاك- مبنية على أن هؤلاء القوم هم جنس له دين وليست له قومية، ثم أعيد النظر في حياتهم بصبغة إنسانية وعقلانية، وبشكل دفع بعض القادة والزعماء إلى التعاطف مع أهداف الصهيونية.

ومع العدوان الفاشيستي المعادي للسامية على فرنسا، اكتسبت المسألة اليهودية عند الديمقراطية الفرنسية أبعادًا ضخمة، لقد أصبح «اليهودي» عند قطاعات راديكالية من المثقفين الفرنسيين رمزًا للإنسانية المضطهدة كما أصبح الموقف من «اليهود» معيارًا للتقدمية والعقلانية والاشتراكية.[٢]

بعد ذلك هبط على الصهيونية المزيد من دعم القوى التقدمية والإمبريالية والراديكالية، وارتفعت أسهم قوى الشر على حساب الحقوق المشروعة للشعب العربي حتى أصبح هذا الدعم عقبة كأداء في طريق قوى النضال والوحدة العربية.

---

(١) إبراهيم فتحي (هنري كوريل ضد الشيوعية العربية) دار النديم للنشر والتوزيع القاهرة ط أولى سنة ١٩٨٩ (ص ٥٣).

(٢) المصدر السابق: (ص١٠).

دور الصهيونية العالمية في الحركات الاشتراكية:

عقب مصرع قيصر روسيا (إسكندر الثاني١٨٨١م) هرب اليهود بأعداد كبيرة من البلدان التي ولدوا وعاشوا فوق أرضها، وذلك بعد ما ثبت اضطلاعهم في جميع المؤامرات التي نفذت ضد الشعب الروسي، ولكن ما كادت تمضي السنون، وعلى التحديد في عام ١٨٩٧م حتى كان اليهود قد تمكنوا من استعادة مواقعهم، وانشؤوا في روسيا منظمة عمالية ذات ميول اشتراكية «البوند» كانت تحث العمال -في بداية نشاطها- حتى لا يتبدد الوقت في الحلم بفلسطين، ونادت بالوقوف جنبا إلى جنب مع بقية عمال العالم من أجل تحقيق الثورة العمالية.

غير أن التيار الصهيوني العتيد ما لبث أن تمدد على الساحة في عنفوان ليمنطق أحلام الآباء - «الوعد» - تحت ضوء أيدلوجية نجحت في زرع «الفيروس الصهيوني» في أرحام الاشتراكية، ثم تبلور هذا الاتجاه عام ١٩٠٠م في تنظيم باولى زيون (عمال صهيون) الذي ظهرت مجموعاته الأولى في روسيا القيصرية إلى جانب العديد من المجموعات الأخرى ذات المواقف المتباينة، وما كاد يحل عام ١٩٠٥م حتى أعيد تشكيل حزب باولى زيون في مدينة بلتيمور الأمريكية، وفي بيانه الأول، أعلن عن الأهداف التي أنشئ من أجلها ـ دون أن يخفي إيمانه المطلق بالصهيونية ذات الصلات الوثيقة بالحركات والأحزاب الاشتراكية:

«لما كان تطور البشرية يعبر عن ذاته من خلال تطور الأمم، ولما كان التطور ـ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي ـ لكل شعب يتطلب أن يكون له وضع الأغلبية في أرض ما، ولما كان مثل هذا التطور لا يمكن أن يتحقق إلا في الوطن التاريخي لشعب معين، فإننا نعلن إيماننا بالصهيونية،

التي تسعى إلى كفالة وطن للشعب اليهودي في فلسطين ولما كنا نعتبر المجتمع القائم على الملكية الخاصة مجتمعا تملك فيه الأقلية وسائل الإنتاج وتعيش على عمل الأغلبية، فسنسعى لتغيير الأشكال الظالمة، وإقامة مجتمع اشتراكي.. إننا نريد للدولة المقبلة أن تقوم بقدر الإمكان على مبادئ الاشتراكية».

وجد البيان الأول لمؤسسي حزب «باولي زيون» صدى واسعا لدى حزب «بوعالى صهيون» الذي كان قد شكل من أعضائه قوى دفاعية عن «الجيتو» الأحياء اليهودية.

وكان هذا الحزب هو الذي أشرف على تشكيل فرق الحرس اليهودي في فلسطين عام ١٩٠٥ والتي حلت محلها عام ١٩٠٩ فرق الحرس المعروفة بـ «هاشومير» وكانت فرقة الهاشومير في بدايتها لا تشكل مجموعة متماسكة من الصهيونيين، بل مزيجًا من الصهيونيين من شرقي أوربا وأوكرانيا والقفقاس، ثم انضم إليها يهود روسيون ماركسيون وبثوا فيها روحا محاربة، والذي أبقى على حرس «الهاشومير» حتى منتصف العشرينات كان قرب التزامها الأيديولوجي والقومي من الفئات الاشتراكية الرائدة في فلسطين. [(١)]

لقد بدؤوا في الجيتو ببناء الروح المحاربة حتى توصلوا إلى تكوين نوع من المخلوقات يحمل اليوم «سمة اليهودي العنيف»، المتجرد من آصرة الانتماء للبشرية بخوائه المترع بأساطير «يهوه» إله الجنود الذي كان يستحثهم للخروج من هوامش الحياة حتى يلعبوا دورًا مغرقًا في الخصوصية من فوق

---

(١) صلاح زكي "نظرية الأمن الإسرائيلي" دار الثقافة الجديدة، القاهرة ط أولى سنة ١٩٧٨ (ص ٣٤).

قاعدة إطلاق يكون مقرها أرض فلسطين.

وبعيدًا عن عمليات دمج العمال اليهود في قضايا الصراع الاجتماعي، ترى الصهيونية أن عمليات الدمج وصراع العمال الطبقي يحولان بينهم وبين قضية وحدة الشعب اليهودي.

لذلك، فإن معظم التنظيمات والأحزاب اليهودية ترتبط ارتباطا وثيقًا بالانفصالية الصهيونية، بقومية ضيقة لا تتفق بحال مع الأممية البروليتارية التي تشكل حجر الزاوية في الماركسية اللينينية، ورغم أن البوروتشوفسكية تزعم أنها ماركسية فإنها تتجه -كأي لون آخر من ألوان الصهيونية- إلى عزل العمال اليهود عن بقية الطبقة العاملة في بلادهم بدلاً من الاتحاد معهم ضد مستغليهم، ويمكن اكتشاف هذا بسهولة من خلال البيان الذي أصدرته منظمة «باولي زيون» الروسية إبان الهبة الثورية عام ١٩٠٥م:

«ولما لم نكن ننتظر من الثورة أي حل جذري للمسألة اليهودية، ولما كانت لنا رسالة تاريخية منفصلة، فإننا لا يمكن أن نشغل أنفسنا بالعمل التحضيري للثورة إننا نحن اليهود لا نتقدم كمجموعة اجتماعية مستقلة إلا حينما تكون المسألة المطروحة هي الدفاع عن المصالح اليهودية الخاصة».

وإذا كان العمال الاشتراكيون والماركسيون «غير اليهود» يعتبرون القومية اليهودية والحركة الصهيونية مظهرًا للرأسمالية، وأن العداء للسامية من مساوئ الرأسمالية وسوف ينتهي بزوالها، فان «جابوتنسكي» قائد الجناح التصحيحي للصهيونية والذي أطلق عليه فيما بعد مؤسس الصهيونية التنقيحية قد تصدى لهذه الاتجاهات، وندد بشعار: «يا عمال العالم اتحدوا» وعلق على هذا الشعار بقوله: «إنني أنظر باحتقار إلى هذا الشعار الداعي إلى وحدة الجزء بدلاً من وحدة المجموع، إنني لا أؤمن بمحاسن النظام

الاشتراكي أي بفكرة تأميم وسائل الإنتاج، وإنني متأكد أن هذا النظام لو نشأ وتحكم في إحدى الدول أو في العالم كله فسوف ينكشف كنظام سيئ للغاية، وأسوأ حتى من النظام الاجتماعي الحالي».

إن هؤلاء الشواذ كثيرًا ما كانوا يلتقون فوق منصة من يتحدثون كماركسيين بشكل زائف، ومن هنا فليس غريبًا أن ترفضهم الحركة الاشتراكية العالمية منذ الأيام الأولى للصهيونية حتى اليوم.

يقول «ر.بالم دات» الماركسي البريطاني:

«وحين حاولت الحركة الصهيونية- إلى جانب روابطها الوثيقة بأكياس النقود - أن تطور أقسامًا تدعو نفسها «اشتراكية» وتقدمت على هذا الأساس إلى الدولية الاشتراكية القديمة فإن مكتب الاشتراكية الدولية - وكان في هذا الحين يمثل كل أقسام الحركة الاشتراكية -من الفابيين حتى البلاشفة قد رفض طلبها».

وفي عام ١٩٢٠ حين صوتت أغلبية المؤتمر العالمي الخامس لباولى زيون في صف الانضمام إلى الدولية الشيوعية رفض الطلب صراحة.. ولقد انضم حزب العمل الإسرائيلي إلى الدولية الاشتراكية المزعومة، ويسهم بنشاط في مؤتمراتها، لكن هذه الهيئة ليست «اشتراكية» إلا بقدر ما يعد حزب العمل الإسرائيلي اشتراكيًا وهذا ما أكده «جابوتنسكي»:

«إن موقفنا من القضايا الاجتماعية مختلف، فهو ليس إلى اليمين ولا إلى اليسار، بل هو استعماري متصلب».

ولم يحل هذا بين الصهيونية العالمية وبين الاستفادة من جهود الماركسية ومن غيرها، بمعنى أن الصهيونية كانت تعرف جيدا قيمة ما تأخذه من هذا، وما يجب أن تحصل عليه من كل الاتجاهات والقوى السياسية الأخرى.

وانتصر ما يمكن أن نطلق عليه جناح القومية الضيقة التي لا تقبل العيش مع الأممية البروليتاريا، وكان للصهاينة الماركسيين مفهومًا خاصًا للمسألة القومية، وقد عرفه بيرد بور تشفسكي (١٨٨١-١٩١٧م) بقوله:

«أيًا كانت الزاوية التي ننظر منها إلى المسألة القومية لتحديد مدى وجودها بالنسبة للبروليتاريا.. فلا بد دائمًا أن نصل في النهاية إلى أساسها المادي، أى إلى مسألة مكان العمالة، والقاعدة الاستراتيجية للنضال التي تمثلها الأرض بالنسبة للبروليتاريا».

وكانت القاعدة هي أرض فلسطين، خاصة بعد أن تخلى هؤلاء «الاشتراكيون» عن الاندماج في صفوف وحدة الطبقة العاملة، لأن الهدف كان استعماريا متصلبا !!



Stürmer

Wochenblatt zum Kampfe um die Wahrheit

Die Juden sind unser Unglück!

صورة من جريدة دير شتومر الألمانية في أحد أعدادها لسنة ١٩٣٩ ، وكان هذا العدد مخصص للقرابين البشرية في الديانة اليهودية وكان على الغلاف صورة عن جريمة ارتكبها اليهود في إيطاليا وذبحوا طفلا لاستنزاف دمه.



اليهود ... أكذوبة التفوق[١]

تناقض واختلافات:

في كتاب «موسى والتوحيد» للعالم النفسي اليهودي (سيجموند فرويد) فقـرة تستوقف -بـلا شك- كل من كان له اهتمـام بمصادر الدين اليـهودي والحركة الصهيونية العالمية.

لقد خلق موسى شخصية اليهود. بإعطائهم دينا صعد ثقتهم إلى درجة آمنوا بأنهم متفـوقون على الشعوب الأخـرى، ولقد بقوا نتيجـة هذا التفوق على الآخرين.[٢]

وفي هذا الصدد. هناك رأي لجور فتسن أستاذ علم الأحياء في الجامعة العبرية، أوضح فيه أن اليهود ليسوا شـعبًا، بل طائفة دينية، تضم جماعات مخـتلفة من الناس واعـتنقوا دينًا واحـدًا، وأن نسبة ضـئيلة جـدًا من يهود الأقطار العربية، هم من نسل يعقوب وإسحاق، وأن يهود أوربا الشرقية، لا ينتمون إطلاقـا إلى فصيلة الدم اليهـودية، وبذلك تسقط الخرافة الصهـيونية التي تزعم وحدة الجنس اليهودي.

وعندما نسـتدعي نبرة فرويد التي ترتفع على صـوته حين يخاطبنا عن اليهودية كدين، نجده لا يحاول أن تكون زاعقة، بقدر ما أراد بها التأثير على من يستقـبلون كلامه، وذلك بخلعه على اليهودية صـفة العِرق، وهو مندفع نحو الانكفاء إلى شعور أفصح عنه بكلمة التفوق.

---

(١) عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل - نشرت بمجلة الشورى الليبية سنة ١٩٧٧م. بتصرف

(٢) نقلا من الإنترنت، بتصرف.

كنا نتمنى أن يكشف لنا كعالم مشهور عن الأسس والعناصر التي حبت اليهود -دون خلق الله- بالتفوق العرقي، وجعلت النبالة قاصرة عليهم وحدهم.

أثمة أسباب بيولوجية، فسيولوجية سيكولوجية؟.. أم هل يا ترى ثمة أسباب وراثية؟!

المؤكد أنه بنى فكرته على مشاعر ذاتية، فعبرت عن قناعته (هو) بالتفوق الديني الذي أعطاه موسى (عليه السلام) لهذا الشعب، وبذلك كبل فكره بنظرة أحادية الجانب، لم تر جيداً أهمية التطورات الدينية الكبرى وأثرها في حركة التاريخ، ولا مدى أهمية الديانة المسيحية والرسالة المحمدية للعالم قاطبة.

وجوهر القضية: أن العالم في زمننا المعاصر، لا يُحكم بالدين والعنصرية، وإن كانت إسرائيل نجحت في اللعب بعقول البشرية، بحيث رسَّخت وجودها في أذهان الغرب الذي غرسها كشوكة في ظهور العرب على أساس ديني، فهو وجود غير متحضر، وإلا لجاز لكل طائفة تقدس النار والشيطان، وبعض أنواع الحيوانات أن تهرف بمثل ما تدعيه إسرائيل لنفسها.

إننا -كعرب ومسلمين- لا نكره اليهود والدين الموسوي، فشرائع موسى ووصاياه وألواحه، أخذت من القرآن الكريم موقع التبجيل، على اعتبار أن اليهودية دين سماوي، ولا يمكن أن ننسى ما أصبنا به والعالم من قبلنا على أيدي الصهاينة، كما لا توجد ثمة مقارنة لدينا كمسلمين، بين الموسوية كدين سماوي، نادى بتنزيه الإنسان عن الإثم والعدوان، وبين الصهيونية كنزعة عنصرية، ترى أن شعوب الأرض قاطبة، إنما خلقها الله

لتكون أمة في خدمة آل صهيون.

وللتلمود آراء صريحة، آمن بها اليهود:

قد كُتب على شعوب الأرض، لحومكم من لحوم الحمير، وزرعكم من زرع الحيوانات وكما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها، هكذا أبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم دون أن يتحملوا عناء العمل.

ألهذا الحد يمكن لمثل هذه الأقوال الشيطانية أن تكون نابعة أو مستقاة من النصوص التوارتية؟

أعتقد أن من اصطفاهم الله عن العالمين، لم يعد أحد من ذرياتهم على قيد الحياة بعد انقضاء عهد موسى، وأن يهود اليوم لا يعملون حسب وصايا الرب وشريعة موسى، إنما تُرك أمر ذلك للتلمود بنصوصه الكاملة غير المعدلة، والذي يعتبر من أهم الوثائق في التراث اليهودي / الصهيوني.

الشريعة الغائبة في حضور التلمود:

تعني كلمة التلمود بالعبرية (المعرفة)، وهو يحتوي على قسمين رئيسيين: هما (المنشا) ومعناها (الشريعة) مع إيضاح وتفسير ما ورد في شريعة موسى، تفسيرًا يرضى عنه الحاخامات بنظراتهم المستعلية على من هم من غير اليهود، حيث تركوا ما أنزله الرب على نبيهم، وأخذوا ما خطته أيديهم من (الجماراه) ومعناها العبري (الاستكمال).

على ما أعتقد، أن الاستكمال إنما يقع على شيء منتقص أو غير مكتمل بهيئته، وأن ذلك لا يعني تمامًا أن شريعة موسى كانت ناقصة، ولكنها الأهواء الشيطانية التي تدس على الدين والأنبياء، حتى تفرغ الكمال من الكمال، وتبقى الأرواح مصفدة بأغلال الشر.

وليس التلمود كتابًا واحدًا، وإنما هما كتابان، التلمود الأورشليمي ،

والتلمود البابلي، أما التلمود الأورشليمي فقد بدأ (الرابي يوحنا بن زكاي) استكمال تدوينه عام ١٣٥م بعد أن توقفت المرحلة الأولى من كتابته عام ٧٠م على أثر تدمير الرومان لأورشليم، وادعى فيه يوحنا الرابي أن الله أرسله على يد موسى شفويا، وتم العثور على هذا التلمود في سنة ٣٢٠م.

من هنا يثبت الزيف، لأن ما نعرفه من النقل والإثبات، وما تردد ذكره في الكتب المقدسة، يضفي علينا الإيمان بأن الله أنزل على موسى الأسفار الخمسة وهي تلقى من كافة المسلمين التقديس والاحترام، أما الحديث عن التلمود وادعاءات الرابي يوحنا وغيره، فلم يأت شيء منها على لسان موسى.

ثم كيف يؤمن عاقل بما جاء في التلمودين - الأورشليمي والبابلي - خاصة وأنهما يجنحان بعيدًا عن التنزيه والإجلال لله، حيث يتخبطان في دياجير المقت والعداء لله الذي قالا فيه الطيش والكذب والتخاذل؟. وبعد أن خاضت كتاباتهم في ذات الله، والطعن في قدسيته، أصبحت هذه الأقوال بمثابة اللبنة الأولى في عقيدة الأجيال التي توالت بعد عهد موسى، ولكي يذاع وينتشر كل ما خطته أيديهم، عمل الحاخامات على تلاوته يوميًا في مجلس الكبراء المكون من رجال العلم ممن أطلق عليهم (السفرديم)، وعلى بحة صوت الناي وإيقاع الطبل ورنات الصناجات و(قرن الكباش)، تجري التلاوة، وفي حالة إذا ما تصادف وبدا على أحد المشتركين في التلاوة عدم الانسجام، أو عرض عن ما لقن له من تعاليم، فلا إثم عليه إذا سلك بنفسه طريقا آخر يجمع بين التزمت والإباحية.

ويلاحظ أن الكتابات الإسرائيلية التي دونت في عصر النبي موسى، وبعد وفاته، لا تخلو جميعها من وجود عناصر مشتركة وأواصر تجمع بينها

وبين الآداب الفارسيــة والأرامية والفرعــونية والبابلية، بحيــث لا نكاد نعثر على فوارق بين واحدة منها أو بعضها، فجميعها جد متشابهة، وإن وجد ثمة اختلاف، فإنه اختلاف لا يمس الجوهر، والمؤكد أن الاختلاف فقط، كان في الأزمنة، والأماكن، والأسماء.

فقصة خــروج موسى من مصر إلى أرض (مدين) تشبه إلى حــد كبير خروج (سنوحي) من مصر، وما لقيــه موسى من معاناة بعد أن وكز المواطن المصري فأرداه قــتيلاً هي نفس المعــاناة التي صادفت سنوحي حين هرب من غضب أخيه إلى الصــحراء الغربية، ومع اختلاف طفيف في التــفاصيل نجد موسى قد تزوج في مدين إحدى بنات النبي شعيب، مثلما أكرم شيخ قبائل (الرينيتو) سنوحي وزوَّجَــهُ من كبرى بناته.

وثمة قصص كــثيرة متشابهــة في ما يقصه الكتاب المصــريون في مصر القديمة، ومــا يقصه قصاصــون ينتمون إلى شــعوب أصغر عمــرًا، وسنعود للحديث في هذه الخصــوصية بعد أن نوضح كيفــية نزول الوحي إلى موسى بالوصايا العشر، وفي أي مكان؟

(لقد نزل الوحي إلى مــوسى مرتين، الوحي الأول: هو الذي كُلف به موسى بحــمل الرسالة، وما بعث به إلــى فرعون وبني إســرائيل أثناء عودته إلى مصر بعد خروجه من أرض مدين. والوحي الثاني: هو الشريعة الجديدة التي كتــبت في الألواح لبني إسرائيل بعــد خروجهم من مــصر إلى الأرض المقدسة إلــى أن جاؤوا إلى برية سيناء، فنزلوا مقــابل الجبل..، ونزل الرب على قمة جبل سيناء).[1]

---

(١) المرجع: الإنترنت خالد عبد الواحد (تاريخ اليهود في التوراة والتلمود)
www.go.ae/kalwid/capters/ptch5.hot

قصدت بهذا القطع وأنا أحكي عن المتشابهات في القصص أن أصل إلى برية سيناء، تلك الأرض المصرية التي كانت البوابة الرئيسة لفلول اليهود ومعبرا لهم أثناء خروجهم من مصر، كما وإنها احتضنتهم خلال سنوات التيه الأربعين، ومع ذلك أصبحت لهم أطماعا في خيراتها، عملا بما جاء في النص التلمودي (كما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها، هكذا أبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم).

نعود ثانية إلى ما توقفنا عنده في قصتي(موسى وسنوحي) ولنا حق السؤال: أيمكن القول أن مؤلف خروج موسى (إكسود) كان في مكنته الاستغناء عن تصوير قصة موسى بتلك الصورة إذا لم تكن قصة سنوحي أمدته بالفكرة؟

يلاحظ أن النسيج الفني في القصتين يكاد يكون مشغولا على «نول» واحد، وثمة ظاهرة أخرى يفصح عنها ترابط الأحداث في تسلسلها منذ أن خرج موسى من مصر، وهو ما نرى عينه من أحداث تكتنف حياة سنوحي أثناء فراره إلى الصحراء الغربية.

لكن بعض البحاثة والنقدة يرون عدم قبول القرابة بين القصص، ولا التسليم بوجود ملامح من تشابه في بعض من صور الأساطير، أو تفاصيلها، وذلك لأن العقل البشري ـ كما يحكي أناتول فرانس في كتابه (أحاديث عن القصص الخرافية) ـ متشابهة التركيب في طفولتها في أي بلد كان، وتترك الظواهر المماثلة طابعا عاما في العقول التي لم تتجاوز الفطرة، ولذلك لا يمكن لأحد أن ينفي تأثر الحركة الفكرية اليهودية بالفكر الوثني والفرعوني حين كانت تعايشهما، دون أن يفوتها في نفس الوقت أن تقيم شعائرها الكنسية، وطقوسها الخفية، ممتطية أعنة الكلمات، وجاعلة من

الحروف أجسادًا تحلق في آفاق آمالها الكواذب خاصة بعد أن صلب اليهود السيد المسيح انتظارًا -حسب ادعاءاتهم- لمجيء مسيحاني آخر بصياغة يرضى عنها الربويون.

وليكن انتظاره تكئة على تنمية مخططات إرهابية، يرضى عنها مسيحيو الغرب من الأغرار، دون أن يبدوا إزاءها أي تحفظ، وفي مذابح كل يوم، يباد الشعب الفلسطيني كمرحلة أولى من مراحل المؤامرة الكبرى على البشرية.

ويرسم لنا (أشعيا) في سفره صورة المسيحاني كما صورها له خياله:

محتقر ومخذول من الناس.. مسحوق لأجل آثامنا، ويجبره شعبنا، والرب وضع عليه إثم جميعنا من الضغطة إلى الدينونة.

ولأجل عودة هذا المسيح، كان لا بد من الإبادة الجماعية، وتنشيط خطط التخريب وتدمير المدن حسب ما ورد في نصوص التلمود، والذي عن طريقه عرفت الصهيونية بأنها الامتداد الطبيعي والتطور التاريخي لليهودية.

ويعتبر الدارسون أن التلمود، أو الزوهار والباهير هي كتب تحتوي على ما هو أسوأ من (بروتوكولات حكماء صهيون)، لدرجة أن بعض البلدان الأوربية ألزمت اليهود بحذف العديد من الفقرات المشبعة بكراهية الأجناس غير اليهودية.

نظرة التلمود إلى العرب:

أمة محتقرة، من العار الزواج بعربية، يعبدون الأصنام. مرتكبو تسعة أعشار الجرائم في العالم، صفتهم الغدر وكراهية اليهود، كانوا قادة تخريب الهيكل مع نبوخذ نصر.

فما الذي يمكن أن يفعله العرب معهم، وهم يضعون التلمود فوق التوراة؟.. يقول التلمود:

الحاخام فوق الله، والله يقرأ وهو واقف على قدميه، وما يقوله الحاخام يفعله الله، إن تعاليم اللاهوتيين في التلمود لهي أطيب من كلام الشريعة (كلام الله).

يعلق الدكتور (جوزيف باركلي) على ما تضمنه التلمود من شرور باعتباره أحد الباحثين فيه:

بعض أقوال التلمود مبالغ فيه، وبعضها كريه. وبعضها الآخر كفر، ولكنها تشكل في صورتها المخلوطة أثرًا غير عادي للجهد الإنساني، وللعقل الإنساني، وللحماقة الإنسانية.

وما يهم هنا ليس مسألة ما إذا كان التلموديون قد أعدوا أنفسهم للنيل من ذات الله وتحقير شأنه، وهو إثم لا شك فيه، ولكن ما يهم هو أن بعض الأسفار التوراتية ساعدت على إشاعة روح الشيطان، وامتلأت بروح البرم والسخط والدعوة إلى التنعم بالحياة الدنيا والانغماس في الملذات.. :

لأن عمرنا قصير ومحزن، ووفاة الإنسان ليس لها شفاء، ولم يعرف قط المحلول من الجسم، لأننا ولدنا من لا شيء، بعد هذا نكون كأننا لم نكن، لأن النسمة دخان في أنوفنا، والنطق شرارة في تحرك قلوبنا، وإذا انطفأت يصير الجسم رمادًا، والروح ينسكب كالهواء المبثوث، واسمنا سينسى في الزمان.[1]

وتتراتب هذه الدعوة مع من يحتجون بأن الله نفسه لم يثبت وجوده حتى الآن، كما تتفق مع الماديين ومن لا يرون غير المادة على اعتبار أنها حقيقة لا يمكن لأحد أن ينكرها، وهم ينكرون وجود حياة أخرى بعد الموت.

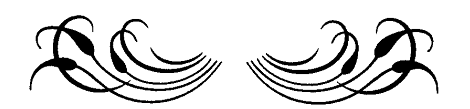
---

(١) سفر الحكمة.

هلم إذن نتمتع بالخيرات الموجودة، ونستعمل اللذات في البرية، ما دام زمان الشيبوبة، فنمتلئ من الخمر الفائقة والطيوب، ولا يفوتنا نسيم زهر الربيع، نتكلل بفقاح الورد قبل ذبوله، ولا يكون مرج إلا يجوز عليه تنعمنا..[1]

لو ذيلت هذه القطعة التي فيها شعر بإمضاء عمر الخيام، لما كانت هناك مؤاخذة، إنما يوضع هذا الشيء في سفر يدعى (الحكمة)، فمسألة تحتاج للمراجعة والنظر، على الأقل في ماهية الحكمة التي يروج لها هذا السفر.

قبل أن ينتهي القرن الثالث ق. م، كان علماء المجمع العظيم (السفرديم) فرغوا من نشر الأدب القديم كله، وانتهوا من كتب (العهد القديم)، وكأن ما كتبوه أوحي إليهم به، أو نزل عليهم بوحي، فأصدروا حكمهم الذي نص على أن عصر الأنبياء قد انقضى، وأن الوحي اللفظي انتهى زمنه، وأصبحت معظم الكتابات الدينية الصادرة في ذاك العصر جزءاً من أسفار (الأبكريفا) التي تكون ثقافة اليهود، ويعتبرونه أعظم تراث أنتجه فكرهم.



(١) سفر الحكمة.

الأسفار.. جذور في تربة الصهيونية

إن الذين يبتعدون عن طريق الرب، سيصبحون أدوات سهلة يستخدمها إبليس في تنفيذ رغباته، وجملة القول: أن ما بقي من كتابات اليهود منذ ذاك العهد، يمكن وصفه بأنه غنائي، صوفي، خيالي، يهدف إلى تقوية أرواح اليهود -مع أنهم يؤمنون بفنائها كما ذكرنا سلفا- في زمن كان الدين فيه تمثيلاً مسرحيًا للأخلاق بشعر صوفي.

والملاحظ أن هذه الكتابات لم يطرأ عليها أي تحول نوعي إلا بعد أن نقل الحاخامات نزعة الاستعلاء والتفوق من بطونها، وأعادوا صياغاتها بحيث يكون المدون منها والشفاهي في خدمة أفكارهم العنصرية.

لقد توقف جهد بعض الباحثين في جذور الصهيونية عند مرحلة قريبة منا، وقالوا أنها وليدة القرن التاسع عشر، ولكن الواقع يؤكد أن الفكرة قديمة، وقد ظهرت كإرهاصة أولى منذ أن ذهب اليهود في السبي البابلي عام ٥٨٦ ق م، وكتبوا الترنيمات والأشعار على ضفاف بابل حلما في العودة إلى صهيون، وذلك منذ أكثر من ثلاثين قرنا.

ثم تبلورت هذه الدعوة في التوصيات التي صدرت إبان انعقاد مؤتمر بازل في سويسرا عام ١٨٩٧م، مع مراعاة التركيز على الوعي القومي اليهودي كوسيلة للحيلولة دون اندماجهم في المجتمعات التي يعيشون فيها، وأهمية الإيمان بالمقولة التي تزعم: إنه بالرغم من الشتات اليهودي إلا أنهم يمثلون أمة واحدة وقومية واحدة.

وبتعاقب السنين، جاء جيل وضع كثيرا من التعديلات، وبما يتواءم مع

كل ظرف ومرحلة تاريخية، ومن أبرز من أضافوا إليها الحاخامان الصهيونيان (الكلاى) و (زفاى كاليشر) اللذان وهبا حياتهما للعمل من أجل العودة إلى صهيون.

لأن الرب لن ينزل وينقذ شعبه، ويعيد المشتتين إلى أورشليم.

واستفاد الكالاي وكاليشر مع شتى العناصر والحاخامات من كتابات(نوسترا داموس) [1]. الذي أخذ تنبؤاته من نصوص توراتية، وادعى فيها أن الحضارة اليهودية والمسيحية سوف تنهار على أيدي المسلمين، ونشط الصهاينة في نشر هذه التنبؤات في كتاب بعنوان (رباعيات).

وما لا شك فيه أن كتابة من هذا النوع خلقت لدى مسيحيي الغرب عقيدة مشوهة ضد المسلمين حتى وجدوا من الاستحالة أن ينجو العالم من الأشرار إلا إذا تحالف الجميع -مسيحيون ويهود- للقضاء على هذه الأفاعي السامة، وادعى مفسرو التنبؤات أن الانتصار على المسلمين والعرب -وحده ولا شيء سواه- سيمهد الأرض لظهور الملك المنتظر لليهود، وللمجيء الثاني بالنسبة للمسيحيين.

على حافة هذه الهاوية، ظهر جيل من أسموهم بـ (الرواد) الذين ساهموا في إنشاء الكيان الصهيوني، وكانوا يدقون طبول الإرهاب منذ قيامهم باستنفار جميع اليهود في الشتات، من أجل العودة إلى أرض الميعاد.

كلما زادت هجرة اليهود إلى دولتهم كلما احتجنا إلى المزيد من الأرض. [2]

والأرض التي يحثهم إله الحرب للاستيلاء عليها هي فلسطين وأجزاء

---

(١) مسيحي كاثوليكي من أصل يهودي ، عاش في الفترة (١٥٠٣-١٥٦٦م)
(٢) هرتزل.

من أرض الحجاز والعراق ومن نهر مصـر إلى النهر الكبير في الفرات، على اعتبار أن الشعوب التي تعيش هناك الآن هى شعوب محتلة، ويجب إبعادها بالطرد أو القتل أو بالدمار الشامل.

يمثل هذا البلاء الذي ينحدر بالبـشرية إلى خبائث عرق ولا مـشروعية دين، يغزل الحـاخامات أنسـجة عنكبوتيـة تستهـدف الالتفاف حـول العالم والسيطرة على أركانه، كـما يشهد التاريخ أنهم كانوا وراء حـملات الترويج لأفكار (نيتشـه) العنصرية (البقاء للأقوى)، ودعمـوا آراء (برجسون)، وهـم الذين شايعوا الغموض الجنسي عند(فرويد) ومدرسته التحليلية، وكانوا وراء العديد من عـمليات الإرهاب وقـتل الرؤساء والملوك والقـادة وانحدار بعض المدنيات.

لقد أصاب الناقد الإنجليزي (رالف فوكس) جزءًا من الحقيقة حين قال:

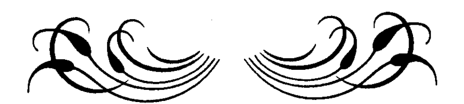
بدأت حضارة الغرب بأرشميـدس ورابليه ومونتين وانتهت بالعودة إلى سمة العصور الوسطى في التـعصب للدم والسلالة، مع إيهام ديني وجنسي في آراء شلبنجر و أوثمان وفرويد وغيرهم.

فإذا أضيف إلى تخـريب الكيان النفسي والروحي عبوة من مـفرقعات سترا داموس التي تلـفت الأنظار إلى خروج المهدي المنتظر من مكة، وبزوغ عصر الدين الإسلامي من جـديد، فلا شك أن ذلك أمر يدفع الآخرين إلى قتالنا وعدم مناصرة الشعوب العربية في نزاعها مع الكيان الصهيوني.

إن ذلك الأمر يُرعب نصـارى ويهود الغرب ويقضّ مضـاجعهم، وهو المبرر الوحـيد لحربهم الشعـواء التي يشنونها ضد الإسـلام ومن يُمثله، دون كلل أو ملل، بدفع من أحبار اليـهود وكهنتهم في كواليس ودهاليـز السياسة الغربية، كمـا كانوا يزينون لكفار قريش سوء أفعـالهم، في كواليس ودهاليز

السياسة في مكة، خوفا من ظهور أمر الدولة المحمدية الأولى.[١]

ويرى سترا داموس أن كنيسة الله سـوف تضطهد، وسوف يأتي مقاتلو إمبراطور الهلال البالغ عددهم (٢٠٠مليون) من جهة بلاد فارس وأن جميع الشعوب الشرقية بما فيها من إثنيات متنوعة، ستتحد ضد الغرب في مواجهة مصيرية نهائية.[٢]



---

(١) من منشورات الإنترنت. خالد عبد الواحد . مرجع سابق.

(٢) راجع كتاب «نبوءات سترا داموس» للطبيب الـفرنسي (دو فنبرون) ترجمة أسامة الحاج دار مكتبة التربية ، بيروت ١٩٩٦ م.

من يحنث العهد ويخرب؟

ترقّب العالم بأسره ما سوف تسفر عنه قمة بيروت عام ٢٠٠٢ برئاسة الملوك والرؤساء العرب، بالإجماع قدم الجميع بأيديهم البيضاء سلامًا واعترافًا بإسرائيل، شريطة أن تنسحب من كافة الأراضي العربية التي احتلتها في حروبها المتكررة، غير أن الصهاينة رفضوا، في ذلك الوقت كانت دباباتهم وجرافاتهم تجتاح مدن الضفة الغربية وتدمر بيوت الفلسطينيين وتلقي القبض على رجال المقاومة.

إن ذاكرة التاريخ تغص بالشواهد التي تؤكد أن المسلمين لم ينقضوا أبدًا عهدًا، وليسوا كالأفاعي السامة حسب ما يدعيه الحاخامات، وإنهم يؤمنون باحترام المواثيق.

لأن نقض العهد ونكث الميثاق خصلة مرذولة، ومن مساوئ الأخلاق عند جميع الأمم والشعوب باستثناء اليهود الذين يرون في تلك الخصلة فضيلة خلقية تتناسب مع قيمهم وأخلاقهم التي قامت على الأسطورة والخرافة.[1]

ولكي لا يتسرب الشك في نفس أحد، أو يُعتقد أننا نفتري على أخلاق اليهود وقيمهم، نؤكد أنه ليست هناك انتقائية في إبراز المواقف التي تفوح بتقيحات سلوكهم، ولا انتقائية في اختيار النصوص التي تحكم علاقاتهم بالآخرين، وإنما هو التاريخ الذي لا يكذب مهما تضاربت في

(١) جبر الهلول : مقال (مفهوم السلام عند اليهود.. سلام الوسيلة وسلام الهدف) منشورات الإنترنت.

بعض مواقفه الأقوال، وفي هذا الصدد قال الإمام أحمد:

لما استعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ.

والتاريخ يروى، وما خطته أيديهم يؤكد على صفحات بروتوكولات حكماء صهيون:

أعط لليهودي بدون ربا وأقرض المسلم بالربا.

ما يجدر ذكره، أن ما يراه الآخرون من رذيلة ونقائص خلقية في سلوكهم، هم يرونه واجبًا دينيًا يعتزون به، استجابة لتحذير إلههم (يهوه) وبوصيته التي تقول:

احترز من أن تقطع عهدًا مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا فخًا في وسطك.[١]

ويضيف موضحًا:

لا تقطع لهم ولا مع آلهتهم عهدًا.[٢]

لا أدري هل هذا هو التفوق الديني الذي أشار إليه سيجموند فرويد وادعى أن اليهود بقوا نتيجة هذا التفوق على الآخرين؟

وبما أن الأجناس الأخرى هم من الأمم المنحطة، واليهود (شعب الله المختار) فيحق لهم معاملة الآخرين كالدواب، وقد صور التلمود ذلك الأمر بناصع العبارة:

نحن شعب الله في الأرض، سخر لنا الحيوان الإنساني، وهو كل الأمم والأجناس سخرهم لنا، لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أعجم كالدواب والأنعام والطير، ونوع كسائر الأمم من أهل الشرق

---

(١) سفر الخروج، ٣٤ : ١٢ ١٣

(٢) سفر الخروج، ٢٣ : ٣٢

والغـرب، إن اليهـود من عنصر الله كـالولد من عنصـر أبيه، ومن يصـفع اليهودي كمن يصفع الله.[١]

ولا أحد يشك أن السلام والمواثيق هي تعبيـر مشترك يفصح عن وجود علاقـة بين طرفين مـتسـاويين، لكن الأمر من وجـهة نظر اليـهود يعـد من ضـروب المستـحيل، لعـدم وجود الطرف الإنـساني المقـابل لهم، ومن هنا يتجلى مـوقفـهم من قادة النضال الفـلسطيني وعدم الرغبـة في الجلوس مع الرئيس ياسر عرفات، وحتى لو جلـسوا مع آخرين فإن ذلك لا يسقط نظرة الاستعلاء عنهم.

ويأتي ذلك وكأنه تعامل بين إنسان وحيوان لا أكثر، وهذا الحيوان ليس من الحيوانات الأليفة، بل إنه من الحيوانات المتوحشة.[٢]

وبالأساطير والأفكار الشـيطانية اغتذى فكرهم، وباتوا يعملون بعـقيدة وفق ما قضت به تعاليم التلمود:

إن العهد إذا أبرم يجب أن يبرم بين طرفين متكافئين، ولما كان الأممي[٣] لا يساوي اليـهودي فإنه لا يحق لليـهودي إبرام عهـد مع الأممي. وحتى لو أبرم عهدًا بظرف ما فهو في حل منه عند زوال السبب.[٤]

في سفور يتـنصلون من كافة الـقيم والعهود، وتجدُّ أيديهم في ارتكاب الشر:

فيأتمرون جـميعا على الحق، أفضلهم مـثل العوسج وأكثرهـم استـقامة

---

(١) هانئ الهندي ومحـسن إبراهيم: إسرائيل فكرة حـركة دولة، ط١ دار الفجـر، بيروت ١٩٥٨ (ص٢٠).

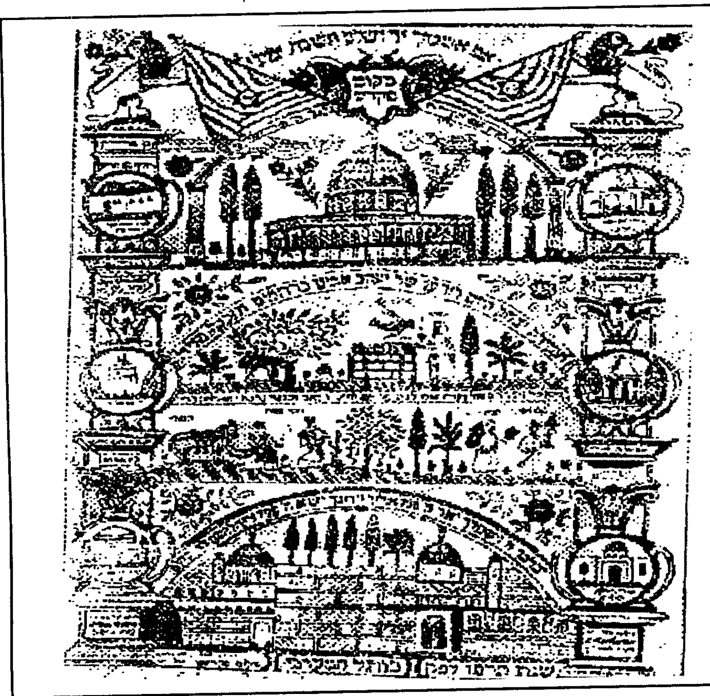
(٢) جبر الهلول: مصدر سابق.

(٣) الأممي: تعني الأجناس الأخرى غير اليهودية.

(٤) التلمـود.

مثل الشوك.[١]

وما يريب أن بعض الأغرار يظنون أن هذه العقيدة مختلف حولها من جانب بعض الشرائح الاجتماعية من اليهود، والحقيقة أن كلهم سواء، لا سيما قادة أحزابهم وحاخاماتهم، وإن بدت عليهم في صورة من الاختلاف والتباين في الآراء وبعض المواقف، فإن ذلك كله لا يعدو عن تنافس بين مختلف الفرق بحيث لا تشذ خطوات الجميع ولا تهن قواهم على طريق المخططات الصهيونية الرامية إلى الاستيلاء على العالم بأسره.



اللوحة من تصميم اليهود وفيها يؤسسون لإعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى.

---

(١) سفر ميخا، ٧: ٣- ٢

ملحوظة صغيرة

أكـد القرآن الكريـم خبر انتقـال يعقوب وبنوه إلى مصر، في وصف بالغ الحفاوة، إلى جانب ما يبثه من سكينة وأمان في قلوبهم.

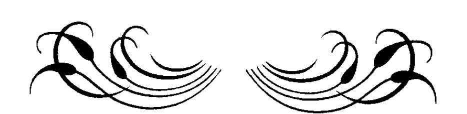
قال تعالى حين دخلوا على يوسف:

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

وحسب ما يروى أن المدة ما بين دخولهم مصر وخروجهم - أي اليهود - منها، هي أربعمائة سنة.

وقبيل أن يخرجوا منها بليل، أرادوا أن يعبروا بطريقتهم عن رد الجميل، وذلك بأن أخذت كل امرأة يهودية من جارتها المصرية حليها على سبيل الاقتراض.

لم يكن السلب قاصرًا على الذهب والفضة، بل إنه تجاوزه إلى اقتراض أفخر الثياب وأواني الأطعمة، ومن شاء أن يعرف مزيدا من التفصيل عن ليلة خروج اليهود مع موسى من مصر، فليعد إلى (سفر الخروج) .



يا أولاد الأفاعي

«لا تمقتوا الأدوميين؛ لأنهم إخوتكم، ولا تكرهوا المصريين؛ لأنكم كنتم ضيوفًا عليهم».

سفر التثنية

الأفكار عجينة في يد اليهود:

لليهود صلة وثيقة بالفكر، من قديم يجيدون استخراج ما يخدم مصالحهم من وراء كل كلمة وفعل، لا أحد ينكر عليهم ذلك.

ومن يطالع الثراء الروحي والفكري الذي كان يقبل عليهم بين أيدي المرسلين من الأنبياء، فلسوف يفجع بسبب ردود أفعال اليهود الشريرة، إذ لا يوجد رسول نزل إليهم بالهدى إلا وانتهت اختلافاتهم معه بالإجهاز عليه وقتله، ويعتبر المسيح (عليه السلام) آخر الأنبياء الذين حاولوا معه اتباع أسلوب القتل والتنكيل.

شيء طبيعي أن يكون لمن جُبلوا على مشاعر سفك الدماء أفكار جهنمية، وعلى اعتبار أنهم من محترفي عمليات القتل فيدركون - قبل سواهم - مدى إيقاع الجرائم وقدرتها على خلق حالة متوترة من الإشباع واللذة حتى تصل بهم إلى قمة السادية، وبحيث إنهم لا يشعرون بكينونتهم إلا تحت أنين المعذبين بأيديهم شنقًا، أو نشرًا، أو حرقًا، أو سحلاً، خاصة وأن أدوات الشر قد تطورت وأخذت على أيديهم العديد من الأشكال.

وكان لا بد لكي تنتعش حياتهم من ثورات وانقلابات ومؤامرات

يحذقون صياغة أفكارها، من ثم باتوا يلعبون برؤوس العالم، آخر واحدة من ألاعيبهم، الترويج لفكرة الشيطان، وقد ادعى الحاخامات وأحزاب اليمين المتطرف في إسرائيل أن الشيطان الذي يجب أن تجيش له جيوش العالم من أجل الانتصار عليه، هم المسلمون والعرب، وقالوا أنه: يوزع جزءًا من شروره على أطفال الحجارة ورجال المقاومة الفلسطينية.

بالطبع، لم يشيروا إلى جرائم اجتياح جيش الاحتلال الإسرائيلي لمدن الضفة الغربية وقطاع غزة، وما تصنعه الجرافات في تجريف الأراضي الزراعية وتدمير البيوت وتعقب رموز النضال الفلسطيني ورجال المقاومة وقتلهم بصواريخ طائرات الأباتشي الأمريكية الصنع.. الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس، ومن بعده في أقل من شهر الدكتور عبد العزيز الرنتيسي.

لقد برعوا في إسدال الستار على ذاكرة العالم الحر الذي ظن أنه تخلص من شرورهم وصدَّرهم إلينا على مدى عدة قرون بحيث لم يعد أحد يرى أو يذكر عمليات الجماعات الصهيونية الإرهابية،[1] وما كانت تقوم به في الأربعينات من القرن المنصرم جماعة (شتيرن) و(الهاجاناه)، إذ ألقت الرعب بنيران المدافع والرشاشات في قلوب الفلسطينيين حتى سهل عليهم القيام بطردهم من مدنهم وقراهم، تمهيدًا لاستعمار الأرض، وإقامة أول دولة عنصرية إرهابية في منطقة الشرق الأوسط على سواعد المهجرين الروس والبولنديين، وكل شواذ الآفاق ممن كانت الوكالة اليهودية تغريهم بالذهاب إلى فلسطين.

كانت الموجة الأولى مكونة من ٢٥ ألف مهاجر صهيوني، دخلوا فلسطين في الفترة من ١٨٨٣-١٩٠٣م، غالبيتهم من أوربا الشرقية.

وتضافرت جهود صندوق الوكالة اليهودية مع المعونات الباهظة التي قدمها الصيارفة لتغطية تكاليف عمليات الهجرة حتى نجحوا في ذلك.

وقبل تدفق الموجات على أرض فلسطين، بحوالي أكثر من نصف قرن، ساهم المليونير الصهيوني إدموند دور تشيلد بما لا يعد ولا يحصى من أموال، أقاموا بها (بتاح تكفا) أول مستوطنة زراعية صهيونية على أرض فلسطين عام ١٨٧٨م.

وفي عام ١٩٠٩، أقاموا أول كيبوتيز على قاعدة العمل الصهيوني لتربية النشء على أسس عنصرية، وتلقينهم مبادئ الكراهية ضد المسلمين والعرب.

وعلى الوجه الذي رسموه، شب الأولاد الذين تلقوا مبادئ الكراهية في الكيبوتيزات، وأصبحوا في الأربعينات من القرن الماضي رجال عصابات، انضم جزء كبير منهم إلى جماعة (شتيرن) الإرهابية، وبأيديهم ذبحوا في (دير ياسين) بالقرب من القدس أكثر من ٢٥٠ فلسطينيا في ٩/٤/١٩٤٨م.

وأصبحوا جميعهم يكمنون لسفك الدماء.[١]

في الوقت الذي كانوا يدعون فيه أنهم على استعداد لصنع أي شيء في الحياة من أجل الوفاء بأداء الأمانة التي طالبهم موسى بها أثناء خروجهم من مصر، وقد جسدت أوهامهم هذه الأمانة بأنها ليست تقوى الله ولا التمسك بفضائل الشريعة، وإنما هي الرغبة المحضة في إقامة دولة لهم تكون عاصمتها القدس.

مع أن النبي موسى توفي حوالي سنة١٤٥١ق م، ولم يدخل القدس، فتولى أمرهم من بعده شاؤول، ثم داود وسليمان الذي توفي حوالي سنة ٩٣٢ق م، ورغم دخول هؤلاء أورشليم إلا أنهم كانوا منقسمين ولم تقم

---

(١) التوراة: سفر ميخا، ٧ : ٣- ٢

لهم مملكة واحدة في فلسطين.

وفي سنة ١٣٥ م، حاولوا إقامة دولة لهم، وذبحوا المسيحيين في القدس فسحقهم الرومان وتشتت الناجون من الموت في جميع أنحاء العالم.

وفي القرن السادس تجمعوا وأقاموا عليهم ملكًا من السامريين وقتلوا المسيحيين من جديد فسحقهم جوستنيانوس، وفي أوائل القرن السابع قاموا بمساعدة الفرس بقتل الفلسطينيين طمعا بإنشاء حكومة لهم ولكنهم فشلوا وتشتتوا في أنحاء المعمورة، وقد تنبأ لهم الجنرال ديجول رئيس فرنسا الأسبق بتشتت جديد في العالم بعد احتلالهم القدس.

إن كل من كان مهتمًا بمتابعة حلقاتهم الإرهابية لن تأخذه الدهشة خاصة بعد أن يعرف أنها تأسست على أيدي جماعة الشيطان من المرابين والصيارفة، وأن أول شرارة اندلعت من القاعدة الرئيسية لتنظيم عمليات الإرهاب من مصرف آمثيل ماير باور الشهير برو تشيلد:

هناك اجتمع ثلاثة عشر من كبار تجار الذهب والفضة وقرروا إزالة كل الرؤوس المتوجة في أوربا وتدمير كل الحكومات الموجودة وإزالة كل الأديان، ومن ثم يقيمون حكم الشيطان الطغياني.[١]

وهو الأمر الذي ينوب الغرب عنهم فيه الآن، حيث تشهد منطقة الشرق الأوسط، وفي أعقاب غزو الولايات المتحدة للعراق، نزوعا إلى خلق شرق أوسط جديد، وإعادة ترتيب بلدانه ورسم حدوده واستعملوا من أجل تحقيق هذا الهدف ضغوطا صيغت في شكل مطالب بالإصلاح الداخلي، وإملاء الأوامر بحذف المقررات الدينية من كتب التلاميذ، وعدم استفتاح أي

---

(١) وليام غاي كار (أحجار على رقعة الشطرنج) دار النفائس, بيروت, ط الثالثة ١٩٧٩ ص٤٢.

حـديث في ندوة أو مكان بحث وعلم بالبـسملة، وتقليص عـدد الفصـول الخاصة بمدارس المحافظة على القرآن الكريم تحت ما يسمى بتحديث التعليم، مع مراعـاة إطلاق الحرية للبنات والشبـاب حتى يقتفي الجـميع آثار خطوات الغربيين في المخالطة والتهتك وتحطيم أواصر الأعمدة الأسرية.

ماذا تريد أمريكا منا؟!

خدمة للمـصالح الصهيونية، يريدون أن نـعيد صياغة تعـاليمنا الدينية صياغة ترضى عنها أمريكا، مع أن الواجب الديني يحتم على كل من يعيش في بلاد الإسلام - سواء كـان مسلما أم غير مـسلم - أن يعي أصول الدين الإسلامي.

لأن الإنسان لا يكون مثقفًا إذا جـهل الدين الذي يؤمن به عامة قومه، لا يكون مثـقفًا إذا جـهل هذه الأصول الفكرية والعـقدية التي يعيش عليـها الناس ويموتون عليها، أم يراد بالتعليم الديني هذا التعليم الخاص الذي تقوم عليه المعـاهد الدينية والكليات الشـرعية والجامـعات الإسلاميـة في عدد من البـلاد مثل الأزهر في مـصر، و الزيتـونة في تونس و القرويين في المـغرب والجامعة الإسـلامية وجامعة الإمـام محمد بن سعود وجـامعة أم القرى في المملكة العـربية، و جـامعة ليـوباند و ندوة العلمـاء في الهند و الجامـعات الإسلامية المتـخصصة في باكستان وفي كوالا لامـبور وغيرها، هل يراد هذا التعليم؟ الغالب أن هذا كله مراد، يراد أن يغـير التعليم الديني بحيث يصاغ صياغة ترضى عنهـا أميركا، وهذا أمر عجيب حـقًا، هل يفرض علينا نحن العرب والمسلمين مـا فرض على اليـابان وألمانيا بعد الحـرب العالمية الثـانية؟ فرض على ألمانيـا وعلى اليابان أن تغـير من دساتيـرها وتغيـر من تعاليمـها وثقافتـها لأن هؤلاء كانوا أعداء لأميـركا وللحلفاء ودخلوا معهم حـربًا فقد

فيها الملايين من الضحايا، ونحن لسنا أعداء.[١]

إن البلاد التي طلبت إليـها أمريكا إصلاحات داخليـة سبق وأن وقعت بينهم معارك (ألمانيا، اليابان)، أما نحن فنعتبر من البلدان الصديقة.

ولم يحصل بيـننا حرب حتى تفـرض علينا هذه الأشيـاء، لماذا يفرض علينا ما يفـرض على المنهزمين في الحرب، نحـن لم ندخل حربًا ولكن هذا حكم القوي في الضعيف، حكم الغالب في المغلوب، تحكم الذئب فاخضع أيها الحـمل، هذا هو الذي يجري في هذه الأيام ، فلمـاذا نقول: إن الدين هو الذي يفرخ الإرهاب، الإرهاب الذي يوجد في عـدد من البلاد وجد في أميركـا نفسها وفي حادث أوكـلاهوما سيتي ووجد في بـريطانيا وفي الجيش الجمهوري الإيرلندي ووجد في اليابان في جماعـة الحقيقة السامية ووجد في الهند وقتلت أنديـرا غاندي وابنها راجـيف غاندي ووجد في إسـرائيل وقتل إسحـاق رابين ووجد في كل مكان، لماذا التعليم الديني الإسـلامي فقط هو الذي يحمل وزر الإرهاب في العالم؟[٢]

ومن أوزار الإرهاب الصهيوني الذي لا يذكـره أحد من رؤساء الغرب ما قام به تيودور هيرتزل عندما حث أصحاب المصارف العالمية على المساهمة في إقامة منظمة يهودية تدعى (حركة العودة إلى إسرائيل) وكانت تلك بداية التجسيد الفعلي للكيان الصهيوني الإرهابي.

وراء ذلك كانت تستـخـفي أهداف الصهاينة دون أن يكـفوا لحظة عن محاولات غرز أنيابهم في تلافيف رؤوس أمتنا العربية، وما يزيد اتساع رقعة

---

(١) الشيخ يوسف القرضاوي، نقلا عن الإنترنت. ماذا تريد أمريكا من تغيير التعليم الديني للدول الإسلامية www. Qaradawi.net .

(١) الشيخ يوسف القرضاوى، مصدر سابق

دهشتي أن ذلك الشيطان لم يرق له أية منطقة في العالم ليمارس فيها مخططات ما يسمى بالإصلاح الداخلي أو إقامة دولة له إلا بين شعوب العرب والمسلمين.

أشهد أنني قد أعياني البحث في الحصول على وصف بالغ الرشاد يلخص مجمل حياة هؤلاء الصهاينة حتى وجدته في كلمة أطلقها السيد المسيح عليهم.. أجل، (إنهم حقا من كنيس الشيطان).

لا أود أن يُظن - مجرد الظن- بأننا نكيل لهم الاتهامات، فقط، نحن على يقين وإيمان بما جاء في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [1] وفي ذلك نستعمل لهم التاريخ ففيه إثبات وسجل لحركات إرهابهم منذ ما قبل الميلاد وبعده، فلا التاريخ ينسي، ولا الذاكرة الإنسانية تغض الطرف عن ما جرى للفيلسوف سينيكا مربي نيرون ومعلمه الخاص (٤ق م -٦٥ب -م) حين فضح ممارستهم الربوية وسيطرتهم على الحياة الاقتصادية في روما.

لم يكفوا عن تعقب الرجل وملاحقته بالأذى والتشهير، حتى أشاعوا بأنه أقدم على الانتحار، وأشاع آخرون أنه هرب من وجه شيطانهم مخلفا وراءه كل شيء فعادت التجارة إلى كامل الحيوية، وتوسعت أعمال المرابين، وانتهى هذا الفصل بإشعال النار في روما كلها على يدي نيرون.

في ذلك تقول الموسوعة البريطانية: كان لدى التجار والمرابين اليهود ميل شديد للتخصص بالتجارة، وكان مما ساعدهم على الامتياز في ذلك الحقل: مهارتهم وانتشارهم في كل مكان، وكانت تجارة أوربا في العصور المظلمة بمعظمها في أيديهم، وخاصة تجارة الرقيق.

(١) سورة الغاشية. الآية (٢١ ، ٢٢).

اليهود و النشاط الإعلامي في مصر

على أرض مصر، حصلوا على ما لم يحلموا بتحقيق جزء منه في أي بلد عاشوا فيها، لم يكونوا رعايا وإنما كانوا يعيشون كمواطنين مصريين لهم حق التملك وممارسة حرية التنقل والبيع والشراء.

كانوا يتاجرون في كل شيء من إبرة وابور الجاز إلى بيع ماكينات سينجر للخياطة وإصلاح وبيع وابورات الحرث وممارسة أعمال السمسرة والأقطان والذهب والفضة والطباعة.

وعلى مستوى الإبداع والكتابة وحرية الرأي، أتيحت لهم فرصة إصدار المطبوعات والجرائد والمجلات، واضعين نصب عيونهم بروتوكولات حكماء صهيون التي تحفز قواهم بقولها:

سوف نحوز بفضل امتلاكنا الصحافة على سلاح ذهبي، ولا يهم كوننا لن نصل إليه إلا بعد خوض بحار من دماء ودموع الضحايا، لقد ضحينا في الأحيان بالبعض من شعبنا، ولكن ضحية منا تعادل ألفًا من ضحايا الجوييم.[١]

ومنذ عام ١٨٧٧- ١٩٤٩م استطاع اليهود في مصر إنشاء خمسين صحيفة وقد بلغ عدد الصحف الناطقة بالعبرية إحدى وثلاثين صحيفة.[٢]

---

(١) الجوييم: تعني لديهم الأمم والأجناس غير اليهودية.

(٢) حسن الباش (النشاط الإعلامي الصهيوني في مصر من ١٩٠٠-١٩٥٣ ، مقال نقلا عن الإنترنت.

وفي عام ١٩٠١م أنشا المحامي مراد فرج ليشع صحيفة(التهذيب) ثم أصدر عام ١٩٠٨م صحيفة (الإرشاد)، وفى عام ١٩١٩ أسس الدكتور ألبرت موصيري، مجلة (إسرائيل) بلغات ثلاثة الفرنسية / العربية / العبرية، ثم توقفت النسخة العربية عن الصدور عام ١٩٣٤، فآثر سعيد مالكي -رئيس التحرير- إصدار جريدة جديدة باللغة العربية حملت اسم (الشمس).

وخلال تلك الفترة، ظهرت صحيفة (الاتحاد الإسرائيلي) وصحيفة (الكليم)، وقد خدمتا هاتين الصحيفتين العرق العنصري في نزوع الأفكار الصهيونية للسيطرة والتفوق.

ومن الجدير بالذكر أن أول فرع للمنظمة الصهيونية تأسس في مصر وأصدر مطبوعة بعنوان (المجلة الصهيونية) عام ١٩١٨، وكانت باللغة الروسية.

ويبدو من الطبيعي، وفي ظل أجواء ذلك الزمن أن يحاول المصري المسلم الاستفادة من جهود المصري اليهودي في مجال الصحافة، ولعلنا نذكر منهم يعقوب صنوع ومراد فرح وسعد يعقوب مالكي.

وقد كانت لهم مساهمات شعرية ونثرية في تلك الصحف، ومنهم مسعود حي بن شمعون وسعد ليتو مالكي وهارون زكى حداد و هلال فارحي و د. ألفرد ديلوز وإسرائيل ولفنسون الذي كان في جمعية الأبحاث التاريخية التي نشأت في القاهرة عام ١٩٤٥ وكانت تصدر مجلة بعنوان (تاريخ الإسرائيليين في مصر).[1]

والملاحظ أن تلك الصحافة لم تستطع أن تتخلص من روح الدس

---

(١) المصدر السابق.

وتعكير صفـاء مناهل الشعوب والترويج لبعض السلوكـيات التي ليست من خصال وطبيعة المصريين، من ذلك الذي أدخلته في أقوالهم المأثورة:

التجارة شطارة

اتغدى به قبل ما يتعشى بك.

اللي تقدر عليه إلعب بـه.

أخشى وأنا أعرض لبـعض من الكلمات التي دسها بعـضهم علينا في باب الأقوال الشعبية أن ننسى افتراءاتهم على الله وطعن الأديان والمرسلين.

لقد كـانوا في منتهى الـصراحة مع نفـوسهم، يعـرفون جـيدا أن لهم هدفا، لا يحيدون عـنه، وإذا فشلوا في تحقيقه مرة، يعـودون إليه من جديد بكامل الحيوية، تحت أي شعار - من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار - طالما أن فيه منفـعة وكسبـا ماديًا، حتى اسم الله الذي يكرهونه إذا وجدوا فـيه ما يزيد دخلهم، قاموا بدفع آياته إلى أسواق المرابين، وأخضعوا كافة المثل العليا للمساومة والمزايدة.

الإرهاب الصهيوني يرسم الخطط:

من يطالع الأحداث التي وقعت خلال أعوام ١٠٩٥ و ١٢٧١ م سيرى أوروبا الواقعة تحت أعبـاء سيطرة المرابين وكيف كان يتصاعـد أنينها من فرط استغلالهم، حتى اضطرت لتنظيم ثمانية حـملات صليبية ذات أهداف بعيدة عن الروح المسيـحية، وكلهـا كانت تتـجه إلى بلاد الشرق مـصدر الديانات الكبرى.

كان الهـدف الظاهر لهذه الحروب هو حمـاية الحجاج المسيـحيين إلى مهد المسيح، وإقامة الحكم المسيحي في فلسطين.

أما حقـيقة الواقع، فهي أنهـا كانت حروبًا لتقـسيم سكان أوروبا إلى

معسكرين متناحرين، الأول مع اليهود، والثاني ضدهم، وفي السنين الأخيرة هدفت القوى الخفية إلى تقسيم الجنس الأبيض إلى قسمين: السامي واللا سامي، وقد نجحت بعض الحملات الصليبية وباء بعضها الآخر بالفشل، وكانت النتيجة أن بقيت فلسطين بأيدي المسلمين، على الرغم من أن أقطار المسيحية بذلت الملايين من الأرواح البشرية لخوض هذه الحروب المقدسة.

ومن الغريب هنا أن نذكر أن المرابين اليهود غدوا أقوى وأوسع ثراء[1].

ثمة واقعة أخرى من نوع المصائب التي ابتليت بها الأمم على أيديهم، تحديدًا عام ١٢٥٣م عندما شعرت الحكومة الفرنسية بفداحة ما يرتكبه المرابون من أعمال تكرس لهدم أعمدة المجتمع قامت بطردهم إلى إنجلترا، وهناك سيطروا على كبار السلك الكنسي، وعلى النبلاء وسادة الإقطاع.

وبحلول عام ١٢٧٥م كادت تنقلب أحوال المملكة المتحدة رأسًا على عقب بسبب أنشطة اليهود المصرفية، فأصدرت الحكومة عدة قوانين سميت بالأنظمة الخاصة باليهود، كان الهدف من ورائها، تقليص سيطرتهم على الاقتصاد البريطاني وإيقاف انتشارهم الوبائي في جسد المجتمع.

ومع ذلك استطاعوا اللعب على الأنظمة ، وتفريغ كافة القوانين من معانيها لصالحهم، فاضطر الملك إدوار الأول لأخذ خطوة عاجلة قضت بطردهم من إنجلترا، ثم صنع ملوك ورؤساء أوروبا نفس ما قام به ملك بريطانيا، ففي عام ١٣٠٦ م قامت فرنسا بطرد اليهود للمرة الثانية، وتبعتها سكسونيا عام ١٣٤٨م وهنغاريا عام ١٣٦٠م، والنمسا عام ١٤٢٠ م، والأراضي المنخفضة عام ١٤٤٤م ثم أسبانيا عام ١٤٩٢م.

---

(١) وليام غاي كار، مصدر سابق (ص ٥١) .

إغراق سوق الكتابة بوابل من الخزعبلات:

إزاء العديد من الجرائم التي ارتكبها اليهود في حق الإنسانية، لم يغفل الفن عن ممارسة دوره ككاشف للنتوءات البارزة والشائهة في حياة البشر، خاصة وأن الإيقاع كان في معظم الأوقات نابعًا من تكرار حدث مأساوي، بطله باستمرار اليهودي الساعي للهيمنة على العالم، والمضي قدمًا لتحقيق غاية وجوده المثلى، وهي جمع المال، بأي شكل وبأي أسلوب.

لقد عكف وليام شكسبير سنوات عديدة على دراسة شخصية اليهودي حتى نجح في كتابة مسرحية «تاجر البندقية»، وقد بذل المرابون قصارى جهدهم، لكنهم فشلوا في حذف المشهد الخاص بشخصية اليهودي المرابي الذي كان يطلب من المدين التوقيع على صك يسمح له باقتطاع أقة لحم من جسده في حالة عجزه عن السداد.

أمعن اليهود النظر في حياتهم من خلال ذلك المشهد الفني، اعتقدوا أنها سوف تنقطع إذا لم يستجيبوا لوساوس شيطانهم، توصلوا وصنائعهم من الكتاب إلى صياغة بعض الأفكار الشائهة وألصقوها بالعرب والمسلمين، في محاولة خبيثة لشغل الرأي العام الأوربي عن الجرائم التي يرتكبونها في حق هؤلاء.

ودارت تروس المطابع بمئات الكتب التي تشوه جمال وصفاء الدين الإسلامي، وبدأت التعبئة الثقافية باستقطاب عدة أقلام لكتاب غربيين أضفوا على كتاباتهم مسحة الإصلاح، ودعوا المسلمين إلى الأخذ بأسباب الحضارة الغربية، وكانت الحملات العسكرية ضد مصر موجهة في الحقيقة إلى محاصرة الإسلام والعروبة حتى يقضى عليهما.

فعندما دخل نابليون بونابرت إلى مصر على رأس الحملة الفرنسية

ارتدى ثياب الشيوخ ووضع على رأسه عمامة، وجاء بعده الإنجليز في أواخر القرن التاسع عشر، وظلوا يضغطون على مصر لتكون في جانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، وهم الذين أصدروا وعد بلفور عام ١٩١٧، وكانوا طوال تلك السنين يساهمون في دفع اليهود إلى أرض فلسطين لاحتلالها، لتكون بعد ذلك قاعدة للغرب.

سبق ذلك الغزو العسكري مئات الحملات الفكرية، فمنذ العصور الوسطي استهدفوا طعن الدين الإسلامي، وشككوا في رسالة النبي محمد (ﷺ).

يقول (دير منجم):

حينما اشتعلت الحرب بين الإسلام والمسيحية ودامت عدة قرون اشتد النفور بين الفريقين، وأساء كل منهما فهم الآخر، ولكن يجب الاعتراف بأن إساءة الفهم كانت من جانب الغربيين أكبر مما كانت من الشرقيين.[١]

لكن لهجة الاعتدال هذه غرقت في خضم من بحور الكذب والافتراءات على الله وعلى المسلمين، نطالع ذلك بجلاء في قصيدة (رولان) التي اعتبرها الصهاينة أهم منتجات العصور الوسطى الغربية على الإطلاق، وفيها تجديف على الله، وادعاء بأن فرسان (شارلمان) قد أسقطوا الأصنام الإسلامية، وأن العرب يعبدون ثالوثًا مؤلفًا من: محمد، وأبو لون، وتير فاجان.

وأضيف إلى هذا الهراء رواية لكاتب غير معروف كتبها بعد انتهاء الحروب الصليبية، وادعى فيها أن الإسلام يبيح زواج المرأة الواحدة من عدة رجال معًا.

---

(١) دير نجم «حياة محمد» راجع الطبعة الفرنسية، (صـ ١٣٥) ، نقلاً من الإسلام والثورة الاجتماعية مصدر سابق (صـ ٤٨٥) .

وتسرب هذا الخط الهدام حتى تواصل الطعن في الإسلام والمسلمين وانتشر في عصر النهضة بأقلام باسكال، ومالبرانش في القرن السابع عشر، ومونتيسكو وفولتير في القرن الثامن عشر، ورينان في القرن التاسع عشر، وكازانوفا، ودير منجم في القرن العشرين.

ذلك كله لا يجعلنا نغفل أهمية الدور الذي قام به المستشرقون وجماعة التبشير في كل من إفريقيا وآسيا، فالمبشرون لم يعتمدوا على نشر المسيحية -خوفا من اتساع رقعة الإسلام- إلا على صناديق الهبات والتبرعات التي كانت تقدم من قبل رجال الصيارفة والمستثمرون ووكالات المخابرات الغربية.

أما الدور الذي لعبه المستشرقون: فقد اهتموا بالنظر أولا في الأديان، ثم تحولت مناهج الكتابة بإعادة النظر في شرح كتبهم الدينية.

فاتجهوا إلى الدراسات العبرانية، ثم العربية ثم الإسلام، وبمرور الزمن اتسع نطاق البحث فشمل الأديان واللغات والثقافات غير الإسلامية والعربية.[١]

وفي تلك الأعوام، أعادوا طباعة جميع المؤلفات التي تحتقر وتحط من شأن الإسلام والمسلمين، وأفصح ذلك عن عماء قلوبهم وبالجهل والتجاهل والتعتيم نشروا زهور الشر وأذاعوا الأباطيل.

هذا ما نراه جليا في مسرحية (النبي محمد) التي كتبها فولتير عام ١٧٤٢م. والتي كشف عن ضعف إيمانه وعدم معرفته بمجريات التاريخ والوقائع، فجاءت معظم شخصيات المسرحية مفتعلة ومشوهة، إذ جعل من الزبير بن العوام سيدًا لقريش وقائدًا ينظم صفوف المقاومة في وجه محمد، والحقيقة غير ذلك تماما كما هو معروف ومتواتر.

---

(١) صابر عبد الرحمن طعيمة, مصدر سابق (ص ٤٨٧).

وإن كنت لعلى يقين بأن فولتير يعلم من الحقائق الكثير، ولكنه تحت سطوة اليهود وهيمنتهم على حركة الفكر في أوربا، تجاهل مصادر الأنوار وخان الحق والعدل الذي كان يدعي -كفيلسوف- أنه وهب عمره للدفاع عنهما، وفي نهاية حياته مشى في ركب القوى المعادية للإسلام، ليجعل من هزال فكره الفني مسرحية قدمها هدية للبابا بنوا الرابع، وفي ذلك يقول:

إلى رئيس الديانة الحقيقية، ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية، أضع على موطئ قدميك الكتاب ومؤلفه، إن صاحب القداسة سيغفر ولا شك الجرأة التي يأخذ أسبابها أحد المؤمنين المتواضعين في أن يهدي واحدا من خير أحبار الكنيسة الكاثوليكية الحقة هذه المسرحية.[1]

ومن الكتب التي روج لها الصهاينة: ما خطه بقلمه الفيلسوف الفرنسي أرنست رينان، وادعى أن النبي محمد نافق الناس وخادعهم وأنه ماكر وخبيث، وادعى أن الذي أسس الإسلام ليس محمدًا، إنما هو عمر بن الخطاب، وبنظره أنه صنع للدين الإسلامي القواعد كما أدى نفس الدور في المسيحية القديس بولس.

بعد كل ما تقدم، أرى أنه إذا انشغلنا بالإشارة إلى ما كتب ضد الإسلام والعروبة والمسلمين فسنحتاج لمئات الأيام، وسأكتفي بالإشارة إلى اتجاه خطير في الفكر الإمبريالي الصهيوني والعداء من الإسلام.

فبعد أن ادعوا أنه انتشر بقوة السلاح قالوا: إن النبي محمد حرص أن يصبح هذا الجهاد فريضة يؤديها كافة المسلمين في حروب غير منقطعة، لأجل ذلك:

دعا (كيمون) إلى نسف الكعبة و تدميرها، ونقل قبر محمد إلى

---

(١) المصدر السابق: (ص٤٩٩).

متحف اللوفر بباريس.[1]

من كل ما تقدم، نلمس بوضوح مدى حجم الحلقات الفكرية والثقافة التي صاغت عقـول الغربيين واستقرت في وجدانهم علـى مدى عدة قرون، وكيف باتوا يؤمنون بأن المسلـمين والعرب أذناب الشياطين، وأنهم مـخربون وخبثاء وخنازير؟.

لست من أشياع تعليق انحدار ما وصلنا إليه على شماعة الفكر الغربي الذي سيطر على أمتنا طورًا بقوة الجيوش المستعمرة وطورًا بقوة الغزو العلمي والثقافي والمعونات الاقتصادية، فلنا كشعوب -حكامًا ومحكومين- يد في ما وقع على أمتنا العربية من أرذاء وبلايا.

ومن الشرور الـتي حاقت بأمتنـا. إغلاق العقل وعـدم الاستـفادة من خطط اليهود في رسم خريطة مستقبلهم ودعم كيانهم الاستيطاني.

كما لم نهتم بدراسة أساليب النضال والخطط التـاكتيكية في حياة أمتنا العربية. لـماذا؟

لأن الشراهة ابتلعتنا، والأثرة وتورم الذات والاستغلال والسيطرة وبريق الحكم، كل ذلك أودى بنا إلى التخاذل والمهاوى.

عيون مغمضة وفيروسات تزحف على أرواحنا:

كيف لم يـتعلم معظم الحـكام شيئًـا من سيـرة شعوبنـا ولا حتى من أساليب اليـهود في حركتـهم وحصولهم الدائم على دعم الرؤسـاء وشرائح عريضـة من المجتمع الأوربي، مع إنهم يبـدلون كل يوم جلودهم، لغاتهم، معتقداتهم، خطابهم اليومي، بما يتوافق مع ما تقتضيه مصلحتهم؟

(١) راجع مـا كـتبـه الأسـتاذ أنـور الجندي في كـتابه (الإسـلام في غـزوة جـديدة للفكر الإسلامي).

أذكر في هذا الصدد ردود الأفعال لدى الحاخامات عقب قيام بعض الدول الأوربية بطرد اليهود منها، إذ أرسل شيمور حاخام مقاطعة آرس صرخة مدوية إلى الحاخام الأكبر في الآستانة، يسأله المشورة، وما يمكن أن يفعله اليهود من أجل مستقبلهم.

في أكتوبر عام ١٤٨٩م وصل إليه الرد بتوقيع أمير اليهود، وفيه يسدي الحاخام الأكبر النصيحة لرعاياه، وذلك باتباع وسيلة حصان طروادة، وأوصى أن يعدوا أولادهم حتى يصبحوا قساوسة وكهنة ومعلمين ومحامين وأطباء، وبذلك يمكن الدخول إلى عالم المسيحية وتقويضه من الداخل.

ومن السهل ملاحظة التشابه بين هذا الأسلوب ومؤامرة الدونمة، تلك الفتنة الخفية من يهود سالونيك وإستانبول التي اعتنقت الإسلام ظاهرًا بهدف تخريبه من الداخل عن طريق نشر البدع والخرافات ومحاربة الحركات الإصلاحية المخلصة في الإسلام.[١]

لقد بلغ منهم الإخلاص للشر إلى أبعد مدى لتنفيذ مخططات البروتوكولات التي تؤكد قائلة:

إننا لنا شره لا يشبع، ونقمة لا ترحم، ومصدر إرهاب.

ثم بعد ذلك يقف شارون بكل صلف معلنًا في المؤتمر الصحفي الذي جمعه والرئيس بوش يوم ١٤\٤\٢٠٠٤م وهو يشير برأسه ناحيته: إنني والرئيس الأمريكي متفقان على محاربة الإرهاب، ثم يضيف قائلاً إنه جاء لينفذ تعاليم أنبياء اليهود.

حينئذ، لا أجد نورًا يغمرني إلا صوت السيد المسيح وهو يقول لهم:

يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟

(١) وليام غاى كار: مصدر سابق هامش (ص٥٩).

إن اليهود ـ كما هو جلي وواضح ـ شعب مخطط، لا يتورع عن تنفيذ أقذر الأساليب خدمة لأهداف الصهيونية، وفى النهاية يجب أن نفهم سر الحركة الصهيونية:

إن الحركة الصهيونية ليست جزءًا من التاريخ اليهودي، ولا هي جزء من التوراة والتلمود، برغم استخدام الديباجات التوراتية والتلمودية، وإنما هي جزء من تاريخ الإمبريالية الغربية، فهي الحل للمسألة اليهودية.[1]

ويبقى السؤال الذي يقض مضاجع أمتنا العربية، ولن تستريح إلا بعد أن يتحقق الرد الإيجابي عليه: ماذا نصنع إزاء الممارسات الصهيونية والعداء العتيد التعصبي المتوارث ضد شعوبنا على مر الأزمنة؟..

مع أهمية الأخذ في الاعتبار التحول المحوري في الذهنية الغربية التي قد سيقت في غيبة منا، وباتت منحرفة التفكير إلى درجة الإذعان لمنطق التسليم بما يجري لنا على أرض الواقع، بعد أن نجح الصهاينة في إيهام العالم أن المدن الفلسطينية هي أرض يهودية استخلصها جيش الاحتلال الإسرائيلي وحررها من يد العرب.

هذه حرب ضروس لا بد أن نخوضها ـ شعوبًا وحكامًا ـ عبر كافة الأحزاب والمؤسسات المدنية في الخارج، وعبر توظيف برامج القنوات الفضائية الموجهة بلغة شعوب تلك الأمم، ومن خلال مواقع الإنترنت يمكن ترجيح كفة الميزان لصالح قضايانا.

لا أزعم أن الشفاء العاجل لأوجاعنا سوف يضعه أطباء الغرب في روشتة يقدمونها إلينا، بل علينا ألا ننتظر دون أن نسقط جانبا هاما من الإجابة على السؤال سالف الذكر.

---

(١) من مقالات بصفحات الإنترنت.

إن الإجابة السديدة في يقيني تنحصر في: تصويب خطواتنا على طريق الوحدة، وبعيدًا عن القفزات الضارة، يمكن التمهيد لقيامها بإقامة السوق العربية المشتركة، بما يتبع ذلك من عودة لتوظيف مئات المليارات من الدولارات المودعة في بنوك الغرب، حتى يتيسر لأمتنا إقامة مشاريعها التنموية والنهضوية.

ولا يعني ذلك مطلقا غض الطرف عن ما يقع الآن على شعوب أمتنا من جرائم وحشية بيد الإدارة الأمريكية وحكومة شارون والتفاهم المتناهي بينهما والذي أخذ طريق تصفية رموز المقاومة الفلسطينية والعراقية، حتى يتاح لهما العثور على بدائل يمكن اللعب على ظهورهم عدة أشواط في سباق ينظمون حلقته خدمة لمصالحهم.

والمعركة الآن ـ وبعد أن تكشفت مراميها عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر - إنهم يريدون قادة من نوع التوابع، ونحن نصر على الإبقاء على قادة النضال العربي المنتمين.

إن شرعية قادة معينين في دولة تتقرر ولدرجة مهمة بسعة إخلاصهم للاهتمامات المركزية.. وفي الوقت الحاضر، فإن فلسطين هي الاهتمام المركزي الأول لكل العرب برغم أنه ليس الاهتمام الوحيد. [1]

مهمة أخيرة تأتي في سياق إجابتنا على السؤال الذي يقض مضاجع أمتنا: ضرورة الخروج من الموضوعية أحادية الجانب إلى الموضوعية المشتركة، شريطة أن يكون ذلك مدعوما بلغة عربية واضحة النبرات مكثفة بهم التوصيل لا التضليل، لكي نبتعد عن مناطق الركض وراء الخسائر المستجدة.

(١) د. محسن المسوي : العرب والتحدي - الموسوعة الصغيرة - العدد ١٨٢ (ص ١٣) الجمهورية العراقية.

الفهرسة